مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : العلوم الهندسية ، م١٣ ع٢ ، ص ص ١٦١ - ٢٠٨ (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)

نسق القيم الإنسانية في الفراغات العمرانية للمدينة العربية الإسلامية

هشام جلال أبوسعدة

كلية العمارة والتخطيط - جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية

المستخلص. تستهدف هذه الورقة تحديد ملامح الارتباط المباشر بين الإنسان والمكان من خلال بحث إمكانات تسجيل جوانب الإدراك الإنساني للفراغ العمراني وتنظيم عناصره ، في ضوء ثبات (أو تغير) القيم الإنسانية (بين الماضي والحاضر) . ومحاولة رصد انعكاسات ذلك كله في النتاج البنائي العمراني . تركز هذه الورقة على التسجيل الموضوعي المباشر لجوانب المقارنة بين ما كانت عليه الفراغات العمرانية في الماضي والأسباب التي دعت أن تكون عليه في الحاضر . ويمكن تركيز المساهمة الأولية لهذا العمل في الرصد النوعي (الكيفي) للعلاقة بين تغير القيم الإنسانية الموجهة لسلوك الإنسان والتي تمده بقدرة خاصة لفهم الأشياء وتفسيرها وفقًا لحالته القيمية ووعيه القيمي وبين إدراكه للتغير التابع لها في النتاجات البنائية العمرانية . ومن ثم يمكن تركيز الإضافة هنا في صياغة جوانب إبراز الدور الفاعل لعناصر مجالي عمارة البيئة والتصميم العمراني في التأثير على الارتقاء بفاعلية الأداء العمراني للفراغات البينية والعامة ، وتحديد بعض أسس تنميتها والحفاظ عليها في المدن الجديدة والقائمة المعاصرة . تتضمن هذه الورقة الإشارة إلى مجموعة من الأهداف تبدأ برصد وبيان أنواع الفراغات العمرانية التي

تتناولها الدراسة - على ضوء التعرف على الأحداث والنشاطات التي تُمارس خلالها وترجمتها لبيانها في المردودات البنائية المرئية وفقًا لاعتبارات قيمية إنسانية شائعة . وهو الأمر الذي يتطلب بحث العوامل المؤثرة على نوعية الفراغات ومعايير تحديد هذه النوعيات وشرح المحددات العمرانية المؤثرة على الإحساس بالفراغ العمراني ، والكيفية التي يمكن للإنسان أن يُدرك بها الفراغ ويتفاعل معه . تنتقل الدراسة بعد ذلك لبيان ملامح كل ذلك في المدينة العربية (التقليدية والمعاصرة) من خلال مراجعة مدققة للأدبيات النظرية في مستوى والمشاهدات الميدانية الأولية في مستوىً آخر. كل ذلك بقصد تتبع التأثير القيمي على النتاج البنائي في مرحلة ما بعد الإنشاء وأيضًا الإشغال . اختارت هذه الدراسة المدينة العربية باعتبارها مثالاً متميزًا للمدن التقليدية (بين المدينة القديمة والمعاصرة) على تغير ملامح النتاجات البنائية العمرانية على ضوء تغير بناء الفراغ من جهة ، وكنتيجة لتغير التوجهات الإنسانية من جهة ثانية ، ووفقًا لتباين الأطر الفكرية والحضارية لمجتمعات هذه المدن من جهة ثالثة . سوف تجعل هذه الدراسة من المدن العربية في المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية مجالاً للدراسة التحليلية . وفي نهاية الأمر تخلص هذه الدراسة إلى بيان كيفية ومراحل صياغة ملامح مدخل عمراني- إنساني يمكن من إدراك الفراغات العمرانية باعتبارها منظمًا للأداء التصميمي العمراني البيئي في ضوء مراعاة اشتراطات مناهج التنمية والمحافظة .

كلمات الفهرسة : التصميم العمراني أو الحضري - عمارة البيئة - الحفاظ وإعادة التأهيل - تقييم ما بعد الإنشاء / الإشغال - الإدراك الإنساني ـ القيم الإنسانية - الفراغ العمراني - المدينة العربية الإسلامية .

١ - الإطار النظري والمعرفي - مدخل وتقديم

يسعى هذا القسم إلى إيضاح بعض جوانب دراسات كل من مجالي تنسيق المواقع والتصميم العمراني حول ماهية الفراغات العمرانية : فهي أولاً - يُنظر إليها باعتبارها جزءًا من منظومة بناء موجه نحو تحسين الأداء البيئي بكل جوانبه . تلك الجوانب التي

تستهدف تحقيق راحة الإنسان ورفاهيته بالإضافة إلى تحقيق التصورات الجمالية المرغوبة للبيئة ، بينما هي ثانياً - أحد عناصر مكونات سلسلة تجربة المشاهدة للفرد والجماعة (المقيمين والمستعملين) للمكان باعتبار عنصر الزمن - أو المتتابعات الحركية في الفراغ - محوراً أساسيًا في هذا العمل . وكلا المجالين يكونان معًا رؤية إنسانية - عمرانية / بيئية موجهة نحو الاستفادة بأساسياتهما معًا في إلقاء مزيد من الضوء على دور الفراغ العمراني كمنظم للأداء العمراني البيئي في المدينة العربية التقليدية .

١/ ١ الفراغات العمرانية: في المفاهيم والملامح العامة

لعل البداية المنطقية لصياغة المدخل نحو تفسير الملامح المميزة للفراغات العمرانية في المدينة العربية- باعتبارها ضمن أهم العناصر المكونة بتشكيلاتها للهيكل العمراني للمدينة- هي تلك التي تسعى إلى تناول الفراغات العمرانية كوحدات مستقلة بذاتها (منفردة ومتكررة) في مستوى ، ورصدها خلال تدرجاتها (وفقًا لتعدد النشاطات وتنويعات الوظائف التي تمارس داخل حيزات عمرانية محددة) في مستوى آخر، وبالنظر إليها كمجالات للتفاعل الحادث بين المكان والإنسان على ضوء العلاقات البنيوية بين مكونات الهيكل العمراني وخلال تعدد إمكانات اتصالاتها في مستوى ثالث. (شكل ١)

	كوحدات مستقلة / منفردة أو متكررة	١- الحوش	الاستقلالية / التفرد / التكرار
الحدائق والمنتزهات	الوحدات المشتركة / ملكية مشتركة	- الساحات / الميادين	التدرج
الساحات العامة	- الحدائق العامة	- الحدائق العامة	التنظيم الفراغي
الفراغات شبه الخاصة	الأسرة ملكية خاصة	٢- داخل الهيكل العمراني	
الفناء السماوي (الحوش)			
	الفراغات العمرانية كأنوية موجبة أو سالبة	٣- المسكن / المنطقة المحدودة	

(شكل ١) مستويات رؤية الفراغات العمرانية في الهيكل البنائي (من إعداد الباحث)

تلعب الفراغات العمرانية في الإطار السابق دوراً فعالاً في تحديد التوجهات الأساسية لتشكيل التكوين النهائي المعبر عن ملامح الأنسجة العمرانية في المستوطنات البشرية بمقاييسها الثلاثة، الأعلى : المدينة ، والأوسط : المنطقة السكنية ، والأدنى : المسكن/ المنشأة المفردة . وهي في كل من هذه المستويات تكون كنتاج للعلاقة بين الإنسان المستعمل والمكان ، وتحت تأثير مجموعة من القوى المؤثرة على جوانب هذه العلاقة الإنسانية المكانية (شكل ٢). ويتطلب ذلك التعريف بالفراغات والتعامل معها كأماكن مبنية من جهة ، ومن خلال بيان النشاطات التي يمكن أن تمارس خلالها من جهة أخرى.

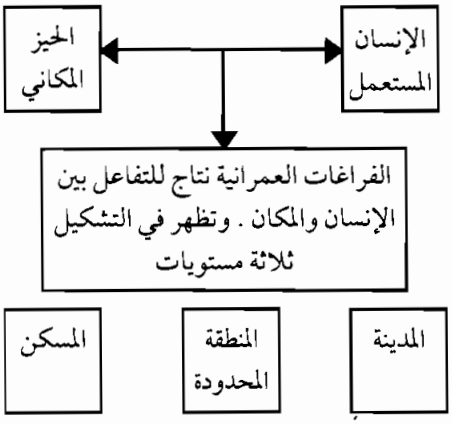

(شكل ٢)

الفراغات العمرانية كنتاج للتفاعل بين الإنسان والمكان وبيانه في التشكيل على ثلاثة مستويات (من إعداد الباحث).

تقوم الدراسة الحالية على الافتراض القائل بأن مسألة الاهتمام بالفراغات العمرانية المشكلة بتوزيعاتها وعلاقاتها البنيوية (بين بعضها من ناحية وبينها وبين مواضع النشاطات الأخرى من الناحية الثانية) لا يمكن التعامل معها إلا من خلال فهمها كمواضع للتفاعل بينها وبين الإنسان على ضوء إدراكه المعرفي لملامح المكونات من حوله ، ومن خلال التأثيرات الناتجة من سلوك الإنسان على البيئة وتأثر السلوك ذاته بالبيئة من حوله (وهو ما يعرف بالتأثير والتأثير العكسي) - (انظر ١/ ٢) . إذ إنه إذا لم يتمكن الإنسان المتعامل مع الفراغ من أن يشكل صوراً بصرية (الإدراك المرئي) وأخرى ذهنية (الإدراك العقلي) متمايزة لهذا الفراغ فإن التعامل معه سيكون في أدنى درجاته، ومن ثم يفقد الحيز المكاني في الحال دوره في توفير غاياته التي وجد من أجلها- (انظر

٣/ ٢) . ولعل المساهمة التي يمكن أن يقدمها مصمم البيئة الخارجية تكمن في دوره في تجهيز فراغات عمرانية تتلاءم مع المتطلبات من جهة، وتصيغ السلوك الأوفق من جهة أخرى.

تقترح هذه الدراسة الارتكاز على مفهوم العلاقات الحميمة كمبدأ قيمي للحكم على مدى فاعلية الاستعمال الموجه للفراغات العامة والأخرى وثيقة الصلة بأماكن المعيشة الأسرية. ويرتكز هذا المبدأ على مجموعة من القيم الإنسانية المرجو تعميق دلالاتها في المكان (الفراغ العمراني) مثل الراحة والتآلف والترابط والجيرة وتنمية العلاقات الإنسانية وتنظيمها والمشاركة والأمن والأمان والحماية والحد من الاغتراب والعزلة المكانية والانتماء والمساواة ، بالإضافة إلى القيمة التاريخية والتذكارية التي يكتسبها الفراغ مع الزمن والأهمية. ويوضح البياني التالي (شكل ٣) تركيب هيكل النسق القيمي المرتكز على القيم الإنسانية والمجردات ، ثم الانتقال إلى مجال رصدها كمبدأ يرتكز على مفاهيم العلاقات الحميمة/ الممارسات المجتمعية ، انتهاءً بترجمتها في الحيز المكاني خلال الغايات ومنها إلى بيان الدلالات على الإنسان وفي البناء [٨][٩] .

١/ ٢ الفراغات العمرانية : تعاريف

لعل أبسط تعريفات الفراغ العمراني هي التي تنظر إليه على أنه ذلك الحيز الذي يشكل أحد جانبي الثنائية المكونة لمواضع النشاطات - المباني والفراغات- الممكنة والمحتملة للاستعمالات الشائعة داخل المناطق العمرانية في المستوطنات البشرية. كل هذا في حدود أن تكون العلاقة بين المباني والحيز المكاني المتصلة به ملائمة لتحقيق شروط أن يكون هناك فراغ عمراني يمكن التعرف عليه والإحساس به وإدراكه بصرياً (مرئيًا) وماديًا . كما يتم توصيفه على أنه ذلك المكان الذي يمكن التحرك داخله مع إمكانية إدراك ملامحه وأبعاده . ويتحدد مدى نجاح هذا الحيز المكاني وإطلاقه كفراغ عمراني بالفعل خلال إمكانات إدراك الصورة المرئية داخله ومدى وضوحها. أما المناطق المفتوحة فيمكن فهمها باعتبارها المطلق أو المجرد مقابل نسبتها إلى أشياء أخرى[٢٣].

تركيب هيكل النسق القيمي عبارة عن محاولة للوصول إلى بناء عمراني عربي مستندا على المبادئ العمرانية العربية ، وهذه المبادئ تستمد قوتها من الغايات التي لها علاقة بكل من الإنسان والمكان ، وتظهر البناءات العمرانية في الأخير لتعبر عن مدى الاستفادة من هذه الغايات والقيم في مجموعة من الدلالات التي لها علاقة أيضا بالإنسان والمكان ، ولما كان هذا التركيب للنسق يختلف من مكان إلى مكان آخر ووفقا لاختلاف النشاطات التي تحدث في هذه الأماكن ، فإن هذا المركب اختار العلاقات الاجتماعية كمبدأ ومعيار يمكن الانطلاق منه لتحديد النشاطات في الفراغات العمرانية وأغلبها هدفه الترفيه (بكل مايتضمن هذا المفهوم من جوانب إنسانية وحضارية) ، ويتدرج هذا الهيكل بداية من بيان القيم الإنسانية المؤثرة على النشاطات داخل الفراغات العمرانية ومنها إلى التعريف بالمعيار المرتبط بهذه النشاطات وهو العلاقات والممارسات الاجتماعية وفي هذه المرحلة تظهر الغايات التي لها علاقة بالإنسان والغايات الأخرى التي لها علاقة بالمكان ، وكلاهما يساعدان على اقتراح التصميم الأوفق للمكان وهو الفراغات العمرانية بينما الحدث المهم هنا هو الترفيه ، وينتقل التركيب الهيكلي للنسق بعد ذلك ليبين المنتج العمراني وهو الفراغات العمرانية ومكانتها في عمارة السكن وتظهر هنا الدلالات التي لها علاقة بالإنسان والمكان وهي الملامح والسمات التي يعكسها التصميم العمراني للفراغات على سلوك الإنسان وملامح البناء .

(شكل ٣) تركيب هيكل النسق القيمي للفراغات العمرانية في المدينة العربية الإسلامية (من إعداد الباحث)

أما الفراغ في صورته المطلقة فيمكن فهمه كإطار موجود بصورة مستقلة عن أي شيء محتوى بداخله، ليس هذا فحسب بل إنه إذا ما تم إزالة العناصر التي بداخله فإنه لا يتغير ويبقى كما هو. أما الفراغ المنسب فهو كتعبير عن مجموعة من العلاقات بين الأشياء، ومن هذه الوجهة فالفراغ يتغير بتغير كل من مواضع الأشياء ورؤية المشاهد [٢١].

يشير اشيهارا Ashihara في مؤلفه Exterior Design in Architecture إلى إمكانات الإحساس بذلك كله ومتغيراته في معرض وصفه لنوعيات الفراغات حيث يلمح إلى شيوع نوعين من الفراغات: أولهما- الفراغ الموجب (المحدد) ve space + وهو الحيز المكاني المحصور بين المباني والعناصر المبنية بالموقع، والثاني- السالب (غير المحدد) ve space - وهو الحيز المكاني المحيط بهذه العناصر. وكلاهما الموجب والسالب/ الداخلي والخارجي يستمدان ملامحهما من العلاقة بمكونات وطبيعة المحيط العمراني الطبيعي أوالصناعي (من صنع الإنسان) . وهو الأمر الذي يؤكد على أن الفراغ العمراني ليس مكانًا داخليًا أو خارجيًا فقط ولكنه قد يكون (الفراغ) أحيانًا محتوي بشيء the container وأحياناً أخرى يكون هو نفسه محتويًا لهذا الشيء the contained [١٥].

١ / ٣ الفراغات العمرانية : النشاطات / الوظائف - الأحداث

يمكن توصيف الفراغات العمرانية وفقًا لتباين النشاط الممارس داخلها باعتبارها فراغات وظيفية من جهة، وعلى ضوء النظر إليها من خلال فهم العلاقة بين الإنسان والفراغ ، والإنسان و الإنسان ، مكونة بذلك الفراغ الحميم من جهة أخرى، وعلى ضوء التغير الزمني مكونة الفراغات التذكارية من جهة ثالثة . يتناول هذا القسم خاصة بيان أنواع الفراغات العمرانية بالارتكاز على فكرة ترجمة الإحساس الإنساني بالفراغ إلى إدراك مادي ذي علاقات بنيوية ارتكازاً على الفهم الواعي لمتطلبات الأحداث والنشاطات التي تمارس خلالها ، وبيانها في الدلالات المرئية وفقًا لاعتبارات قيمية شائعة [٣][١٧][٢٤].

أما الفراغ العمراني الوظيفي functional urban space فيعرف بأنه ذلك الحيز المحدد في المنطقة السكنية المحددة والذي تمارس خلاله نشاطات متباينة وفقًا لنوعية هذا الفراغ في علاقته مع المباني والطبيعة من حوله ، وتتفاعل خلاله كل أنماط النشاطات الإنسانية. وتتميز هذه الفراغات بالديناميكية والحركة. وتعد المناطق المفتوحة والخضراء أحد أشكال الفراغات العمرانية الوظيفية باعتبارها نتاجًا لتوزيع مجموعة من المباني في حيز عمراني محدد ، وهي هنا ليست مجرد فراغات طارئة ناتجة عن تقسيم الأراضي أو توزيع مجموعات من المباني ولكنها ضرورة وظيفية تتكامل مع استخدامات ونشاطات المناطق السكنية وتعد أهم وظائفها: الحدائق الخاصة، الزراعة والبستنة والمعيشة الخارجية للأسر، لعب الأطفال، الجلوس والتفاعل الاجتماعي/ النشاطات الهادئة ، النشاطات الثقافية والترويحية، الألعاب التي يمارسها الشباب[٤] (شكل ٤-١) .

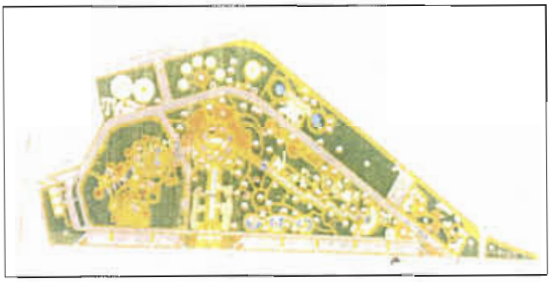

شكل ٤ - ١ الحدائق العامة والخاصة الفراغ العمراني الوظيفي

بينما الفراغات العمرانية الحميمة the intimate space هي تلك الفراغات ذات الأهمية الإنسانية في المناطق السكنية والتي من الضروري أن تدرس ملامحها وخصائصها بعمق بقصد تحقيق أعلى كفاءة لها ومن ثم للمنطقة السكنية ككل. والفراغ الحميم هو الحيز المكاني الفراغي الذي تمارس خلاله نشاطات محددة ومعروفة مسبقًا بين مجموعة من الناس يميزهم رباط واضح ومحدد . فعلى سبيل المثال، في المجموعة السكنية التي تلتف حول فراغ خاص مخصص لاستعمال مجموعة من الناس متقاربة ومتفاهمة ولديها انتماء حقيقي للمكان يتكون ذلك الفراغ الحميم. وأيضًا في المناطق التجارية تتولد هذه الفراغات لتخدم مجموعة من التجار الذين بينهم رابطة أو مصالح معينة فيتكون لديهم بين المحال التجارية الفراغ الحميم . قد يتناسب تواجد الفراغ الحميم كثيراً مع سلوك الأطفال الذين يرغبون في اللعب معًا ولديهم نفس اللغة المشتركة من حيث السلوك والأداء، وهذا المقياس

المحدد من الفراغ يتناسب مع مقياسهم الإنساني فيشعرون بالحنين الدائم إليه .[١١] (بن يوسف: ص ص : ٨٥-٨٦: ١٠٧-١٠٨) (شكل ٤-٢) .

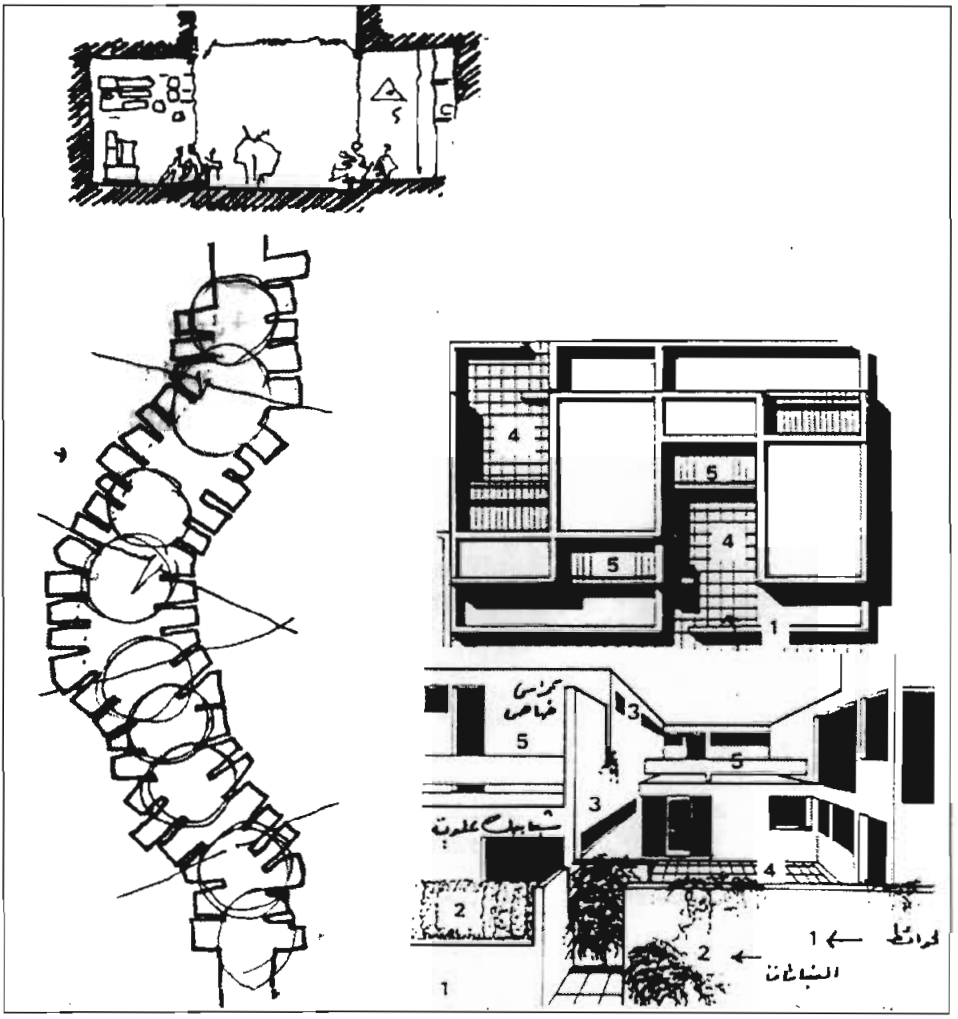

شكل ٤ - ٢ في مناطق السكن في المناطق التجارية الفراغات العمرانية الحميمة

أما الفراغ التذكاري the monumental space فهو ذلك الفراغ المخصص مسبقًا لإظهار قيمة تذكارية تاريخية قد تتعلق بالمصلحة العامة (وغير مقصورة على أفراد بعينهم) ، أو قضية عامة ، أو وجود عام مثل الميادين العامة وثيقة الإرتباط بحدث تاريخي مميز كميدان قصر الحكم بالرياض - السعودية ويتم فيه القصاص. وقد يكون

الفراغ ذي المقياس الإنساني الفائق the super human scale أحد أشكاله (شكل ٤ - ٣). ويعرف بأنه الفراغ المخصص لنشاط إنساني متميز ويعبر عن قيمة محددة ومازال يؤدي الغرض الذي أنشئ من أجله (بمعنى أنه ليس تاريخيًا فاقدًا لقيمته الوظيفية بمرور الزمن). هذا الفراغ مخصص ليسع جموع بشرية كبيرة (غير مخصص لفرد واحد) وهناك يفقد الإنسان الفرد قدرته على التلاؤم مع الفراغ إذ لا يشعر الإنسان بمقياسه إلا من خلال مجموعات، والحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة كمثال لهذا الفراغ ، وأيضًا هناك فراغ صحن المسجد الجامع الكبير.

شكل ٤ - ٣ الفراغ التذكاري وذي المقياس الفائق

ومن وجهة النظر التي يقدمها هذا العمل يمكن تحديد الأحداث والنشاطات الفعلية في الفراغات العمرانية وفقًا لرؤية قيمية على النحو الآتي : فهي أحيانًا تستهدف تحقيق غايات محددة تعبر دومًا وبصدق عن قيمة إنسانية شائعة كالراحة كقيمة عليا وكمفهوم وظيفي في آن واحد . حيث تترجم عناصر الفراغ من هذا المنظور غايات الاستمتاع النفسي والروحي والعضوي البدني إلى نتاجات بنائية مادية تلبي تلك الغايات في ضوء مفاهيم المقياس الإنساني ومعدلات الأداء وغيرها. بينما يلبي الفراغ الحميم قيم مكانة المرأة وحق الطفل وتعظيم أمور الجيرة والتآلف والترابط بين الناس والحد من الاغتراب ومعياره الخصوصية كأداة . كما يعكس قيمة الأمن والأمان للمستعملين وخاصة

الأطفال حيث يلعبون بعيداً عن التعرض لأخطار الطرقات أو الغرباء . وفي نفس الإطار القيمي وعلى مستوى أعم يوفر الفراغ التذكاري قيمة التعرف بأحداث الماضي المتصلة بهذا الفراغ. إذن فالحدث هنا بالفعل تعبير عن قيمة ، وكلما كان التعبير في النتاج واضحاً كلما تأكد نجاحه.[٨][٩] .

١/ ٤ الفراغات العمرانية : العوامل المؤثرة على نوعية الأداء - السلوك الإنساني في الفراغات الخارجية

يعرف السلوك الإنساني في الفراغات العمرانية على أنه كنتاج للتفاعل المركب بين مكونات مجموعتين أساسيتين هما : (١) الحالة الباطنية والكامنة للفرد ذاته والآخرين المشاركين له في نفس الفراغ فيما يعرف بالبيئة الاجتماعية . وتناقش المسائل الجسدية (ميكانيزم عضوي) والعقلية والنفسية للفرد الناتجة عن الخلفية الثقافية والدوافع، بالإضافة إلى كل انعكاسات خبراته الشخصية واحتياجاته الإنسانية . (٢) البيئة المحيطة (أي المنظور النفعي الوظيفي والجمالي) من الجهة الثانية. إذن فالسلوك behavior هو النتاج الطبيعي للتأثير المتبادل بين الإنسان بقدراته وإمكاناته العضوية والنفسية والعقلية والثقافية وتجاربه الشخصية من جهة والبيئة العمرانية الطبيعية والمشيدة (من صنع الإنسان) بكل مكوناتها من جهة أخرى . وكلما كان التفاعل حقيقيًا بينهما كلما كان السلوك معبراً بصدق عن طبيعة الحيز المكاني المحيط بها. ويمكن الحكم على سلوك الإنسان من خلال دراسة البيئة التي يحيا فيها (أو نشأ عندها) وبمعرفة الزمن الذي قضاه هناك[٧] .

(شكل ٥) عند التعامل مع عملية التصميم يجب العناية بثلاثة جوانب من الاعتبارات الإنسانية هي العمرانية والنفسية والعضوية . بالإضافة إلى جانب شديد الأهمية وهو المتعلق بالعلاقة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى . (من إعداد الباحث)

مع ضرورة الإشارة إلى أن الحكم على السلوك الإنساني لم يعد موضوع اجتهادات شخصية أو أحكام غير موضوعية كنتيجة لتصورات واعتقادات لا تستند على أساليب وأسس. كما باتت دراسات العلاقة بين السلوك الإنساني والبيئة موضوعات بحثية وعلمية مطلوبة .[١٩] (Laurie, pp.133-150)

على هذا النحو يجب على المصمم الذي يتعامل مع المجال العمراني من المنظور البيئي أن يكون على دراية بثلاثة جوانب تشكل أهمية في التعامل مع الفراغ وتحديد كفاءة أدائه. وهذه العوامل هي : ١- الهيكل البنائي الفراغي . ٢-إمكانات الفرد لإدراك الفراغ والبيئة من حوله . ٣- الإلمام بردود الفعل السلوكية الناتجة عن التفاعل بين الفرد والفراغ من الناحيتين الاجتماعية - الثقافية والعمرانية.[٢٢] (Preiser, 1988, p.11)

في إطار الترجمة النوعية لكل (أو بعض) القيم الإنسانية المرتبطة بسلوك الإنسان في الفراغات العمرانية، وانعكاس هذه الترجمة لسلوكه في النتاج المدرك بصريًا وذهنيًا (من خلال التعرف على الأحداث والنشاطات التي تمارس في هذه الحيزات المكانية) تدعو الضرورة هنا إلى الإشارة لبعض العوامل المؤثرة على كل من نوعية الفراغ وأدائه. والنوعية هنا هي الإسقاط السلوكي والمادي لكل ما يحدث في الفراغ وما يعبر عنه في علاقته مع الإنسان والمحيط الحيوي المباشر. أما المقصود بالأداء فهو " مقدار تلبية عناصر البيئة الطبيعية (أو المشيدة) التي من صنع الإنسان للمتطلبات الإنسانية وفقًا لمعايير أو معدلات أمكن الوصول إليها كنتاج لدراسات تحليلية ومنهجية مستمرة ومدققة ، واطلقت هذه المعايير كمقاييس وأسس تصميمية وتخطيطية تمكن من فهم مدى ملاءمة الفراغ لشاغليه " .[٢٢] (Preiser, 1988, pp.1)

أما العوامل المؤثرة على نوعية الأداء فهي : [٣][١٦][١٨][١٩]

□ العوامل ذات العناية بالجانب العملي : كالوظيفة/ أو النشاط activity حيث تحدد نوعية الفراغ في ضوء النشاط الوظيفي الممارس داخل هذا الفراغ. فالنشاط الترفيهي شائع كوظيفة في الحدائق العامة ، وهناك نشاط المصلين في الفراغ المخصص للتجمع في حرم المساجد ، أو المخصص لنشاط الطلاب والدارسين في فراغات الجامعة ، أو لتجمع أفراد الأسرة أمام المسكن الخاص بهم . وتعكس مدى ملاءمة نوعية الفراغ للنشاط

مستوى الأداء. كما تتعلق نوعية الفراغ بمدى تبعية الحيز المكاني للمباني أو المنشآت المحيطة به. بينما تتدرج تبعية وخصوصية الفراغ ownership بين أربعة أنواع وفقًا لشكل الملكية : ملكية عامة public مثل الحدائق العامة كحديقة المدينة أو الحي السكني أو المجاورة السكنية أو حدائق المجموعات السكنية . وهي على المشاع ويقوم بتوفير التمويل اللازم لها وتنفيذها وأعمال الصيانة بها الجهات الحكومية. وملكية شبه عامة (أو نصف عامة) semipublic وملكية شبه خاصة semiprivate ، وكلاهما يمثل المناطق المفتوحة المحددة عمرانيًا بحيث ترتبط بوحدة أو أكثر بصريًا أو مكانيًا ، وهو الأمر الذي يحدد استعمالها ويجعلها وقفًا على مجموعة من الناس ومن أمثلتها، الساحات الخارجية للمساجد (وهي تابعة في تنفيذها وصيانتها لمجلس إدارة المسجد نفسه) أو الساحات الخارجية المرتبطة بالمباني العامة كالساحات أمام دور القضاء، هذه الفراغات أيضًا يمكن أن تتواجد على مستوى المجموعات السكنية الصغيرة clusters حيث تصبح الملكية خاصة بالأفراد المقيمين في هذه المجموعة السكنية، وأخيرًا ملكية خاصة private وشديدة الخصوصية كالحدائق والفراغات الخاصة بالمباني المخصصة لسكن العائلة الواحدة مثل الأفنية الداخلية والخلفية . (شكل ٦-١) و (شكل ٦-٢)

□ الحواف والحدود edges : تمثل جوانب البناء المشكلة للملامح الخارجية للحيزات الفراغية التي تتحكم في تحديد نوعية الفراغ من ناحية العزلة أو الانتفاع ، فهناك الفراغات المعزولة ذات الحرمisland، والفراغات المفتوحة ذات الحرم ، والفراغات المتصلة connected، والمطل looking، ومتعددة المستويات multilevel، والمسقوفة roofed.كما تتباين العناصر المشكلة لحدود وحواف الفراغ العام أو الخاص فمنها الأشجار الطبيعية nature treesأو

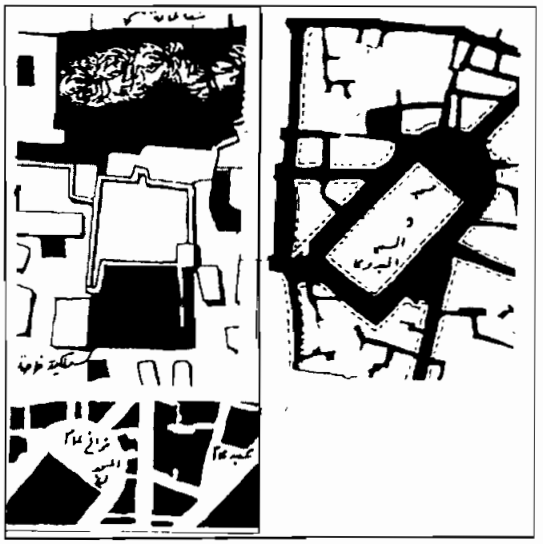

شكل ٦ - ١ شكل ٦ - ٢

كتل الأشجار tree mass أو الشجيرات shrubs أو الحوائط walls، وشكل سطح الأرض ground form والمستويات levels والمداخل access/ entrances. كل هذه العوامل تتحكم في معدلات الأداء من منظور توفير الأماكن الإنسانية المكانية المختلفة والمحققة للاعتبارات البيئية الأخرى (شكل ٦-٣) .

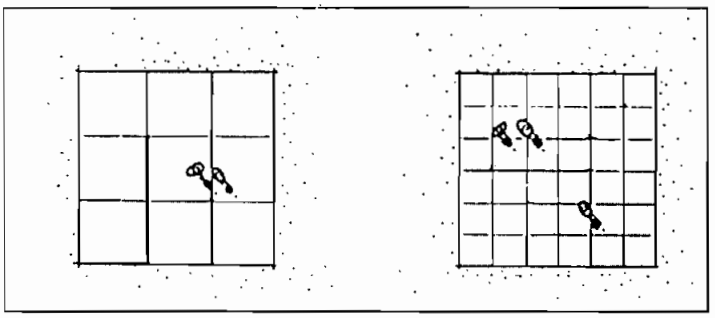

شكل ٦ - ٣

□ نظام الحركة والاتصال circulation system : مقصود بها المنهج أو الأسلوب الذي يحدد الفرق بين حرم المناطق الخاصة عن العامة.

كما يساهم في بيان مدى أداء الفراغ لتحقيق درجة الخصوصية المطلوبة. هذا النظام له علاقة بالعوامل المؤثرة على الأداء مثل أماكن وصول وسائل الحركة إلى أماكن الانتظار بسهولة حول فراغ تجمع المجموعات السكنية أو إلى أماكن الوصول للمسكن مباشرة ، أو إلى مواضع النشاطات الأخرى المختلفة داخل المنطقة السكنية (شكل ٦-٤) .

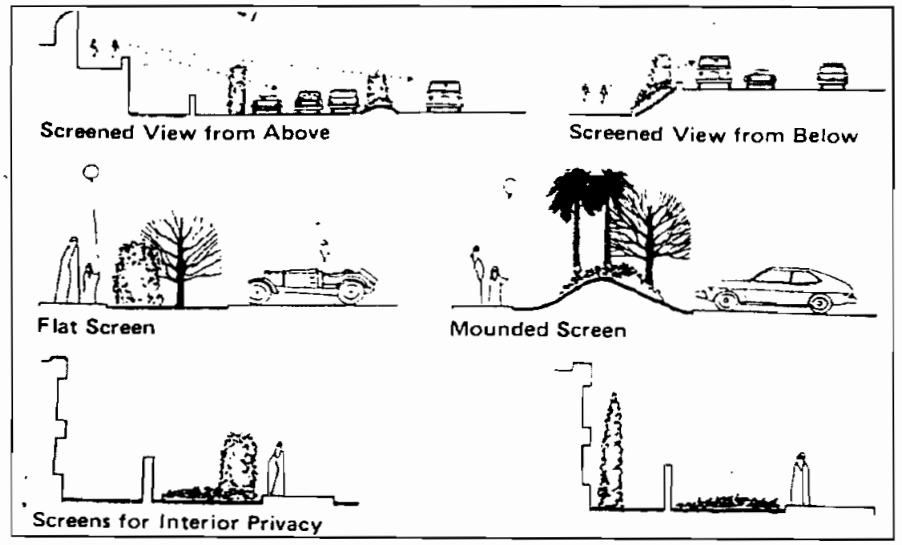

شكل ٦ - ٤

▫ أشكال الأسطح والتشطيبات والمعالجات الصناعية surfaces and finishing materials and treatment : وكلها تؤثر على نوعية الفراغ وأدائه، فهي إما مواد صلبة أو مائية أو نباتية. يرفع نوع هذه المعالجات من كفاءة الاستعمال المقترح للفراغ حيث يتأثر السلوك الفردي والتفاعل الاجتماعي داخل الفراغ بشكل فعال بالموجودات المادية داخل الفراغ من ناحية الشكل أو التنظيم والترتيب . (شكل ٦-٥)

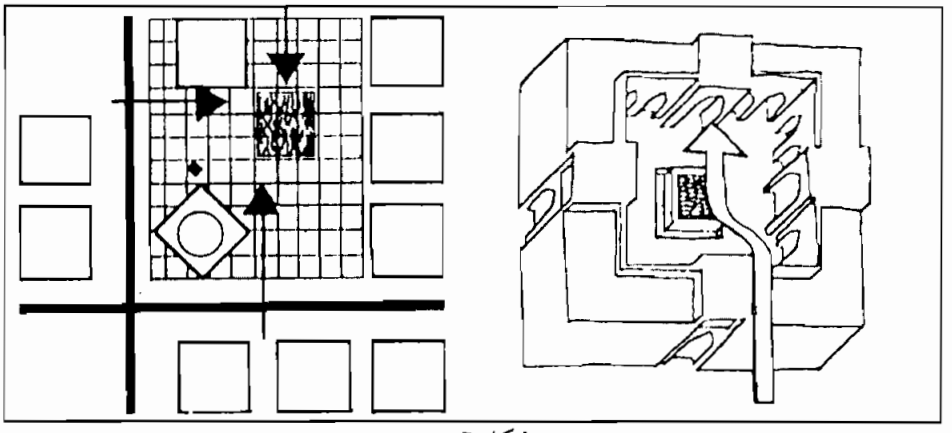

شكل ٦ - ٥

شكل (٦) تنقسم العوامل المؤثرة على كل من نوعية الفراغ وأدائه إلى نوعين : الأولى - لها علاقة مباشرة بالإنسان مثل الوظيفة ، النشاط ، والملكية . والثانية - لها علاقة بالبناء المادي للفراغ مثل نظام الحركة ، الحواف ، الحدود ، أشكال الأسطح والمعالجات . ويوضح هذا الشكل بعض نوعيات الفراغات العمرانية في المدينة العربية : (١) الفراغات العامة وشبه العامة حول مسجد السيد البدوي بطنطا ، مصر . (٢) الفراغات العامة والأخرى ذات الملكية الخاصة في نسيج المدينة العربية التقليدية . (٣) تأثير شكل أسطح الأرض على المقياس الإنساني والإحساس به . (٤) أشكال لأنظمة الحركة والاتصال والحدود وأشكال سطح الأرض . (٤) و (٥) العناصر الطبيعية كالأشجار والمياه .
المصدر - الخرائط المساحية لمدينة طنطا - مصر ، تقارير الهيئة الملكية لمدينة الجبيل الصناعية،السعودية .

٢ - الإدراك الإنساني للفراغات العمرانية

تعد عملية الإدراك مرحلة أكثر تعقيداً من مجرد نقل الصور الموجودة في العالم الخارجي عن طريق العين (كجهاز بصري/ حسي) إلى العقل البشري . فهي المرحلة المتقدمة من الإحساس بالموجودات في البيئة والتي يعمل فيها العقل كأساس يساعد على فهم البيئة خلال صور ذات مدلولات ومعان محددة. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن عملية تحول الأشياء المادية المرئية من مجرد صور لمرئيات إلى مدركات يستطيع

الإنسان أن يفهمها كمعان تماثل عملية تكون الخبرات الإنسانية خلال التراكم المعرفي للمعلومات المفردة والبسيطة إلى كلٍّ مركب ومعقد- وفقًا لزمن التجربة والخبرة- ومقدار التفاعل مع البيئة المحيطة.[١٠][١٢][١٥]

وغالبًا ما تكون هذه الخبرات نتاجًا مباشرًا للتفاعل بين النبضات الحسية القادمة من الموجودات في البيئة المحيطة. على وجه الخصوص، من الأشياء المفضلة عند الفرد، ووفقاً لحالته المزاجية والعقلية، وكلاهما يؤثر على عمليات تنظيمه للأمور، وشرحها، وإبرازها للمعاني والنتائج التي يفهمها خلال عملية الإدراك .[١٢] (ابن خلدون: ص ص: ٣٩٠-٤٦١) وفي الأعم الأغلب تكون التأثيرات الناتجة من الاستجابة العقلية للبيئة بشكل عام أقل تأثيرًا من تلك الناتجة عن الموجودات المحددة والمؤثرة في البيئات التي تحمل أشياء تدرك بالحواس، وتتضمن الدوافع الحسية للسلوك:[١٩]

- أن عمليات توصيف واختيار المعاني والرموز المنتقاة عن البيئة-في موضوع الإدراك- عادة ما تعود إلى طبيعة الفرد ذاته، وتختلف من فرد آخر. وعلى ضوء العلاقة بين عمليات الإدراك والسلوك بكل تعقيداتهما وعدم تشابهما يمكن الوصول إلى قوانين عامة ذات دلالات قد تكون إحداهما دلالة بيئية.

- أما عن ماهيات الأشياء التي يرغب الفرد أن يراها في البيئة الخارجية كالمناظر واتجاهات الرؤية الجميلة نسبيًا ومحددات الانطباعات البصرية- أولا يراها كالمناظر غير المرغوبة والأماكن الموحشة- على الرغم من التحديد المسبق للأنساق والمبادئ العامة- فإنه يمكن استنتاجها عن طريق المقارنة بين الموجودات الطبيعية في البيئة وطريقة اختيار الفنانين لبعض منها كأعمال جمالية وتصويرها من وجهة نظرهم. كما تلعب خبرة المصمم هنا دورًا هامًا في تحديد الإدراكات المقبولة أو المرغوبة والتي يتمنى الفرد أن توجد لتجعل من بيئته مكانًا ملائمًا له.

٢/ ١ العوامل الإنسانية الحاكمة لقدرة الإنسان على إدراك الفراغ: المسافة والرؤية والحركة

يسعى هذا القسم في مجمله إلى تحديد ملامح الارتباط المباشر بين الإنسان والمكان

من خلال بحث إمكانات تسجيل جوانب الإدراك الإنساني للفراغ (المعايير/ المحددات)، وتنظيم عناصره ، وتفسير العلاقات بينها على ضوء ثبات (أو تغير) القيم الإنسانية بوجه عام(بين الماضي والحاضر) ، ومحاولة رصد انعكاسات ذلك كله في النتاج البنائي. وفي الأعم الأغلب تكون معايير تحديد نوعية الفراغ تابعة لقدرة الإنسان على الإدراك الحسي- عن طريق الرؤية- ومنه إلى التصور العقلي للفراغ في ضوء ثلاثة عوامل : المسافة (أو منطق القرب والبعد) ، وطريقة الرؤية (زوايا النظر) ، والحركة (من خلال مفهوم الزمن كبعد رابع) :[٣][١٩][٢٠]

□ تعد المسافة بين الفرد المشاهد وبين مكونات الفراغ العمراني (الثابتة/ المتحركة) ذات تأثير واضح على التدليل على نوعية (الفراغ) . فعلى سبيل المثال، إذا كانت المسافة بينهما متقاربة جداً فإن الإحساس بالارتباط بين الشخص والفراغ يكون في قمته intimacy حيث يمكن للمشاهد في هذه الحالة أن يركن إلى قدرته العضوية الفسيولوجية على الملاحظة الدقيقة (من خلال المشاهدة بالعين المجردة) لكل ما حوله ليتمكن من التلاؤم والتعايش مع ما حوله في الفراغ. أما إذا كان المشاهد يتحرك داخل الفراغ على مسافات تجعله أكثر تباعداً بينه وبين الموجودات في الفراغ فإنه ما زال في الحدود التي تجعله يحتفظ بصفة الاتصال الحميم بهذه الموجودات. بمعنى أنه قادر على إدراك الفروق بين الألوان والتعبيرات الدقيقة كما يمكنه أيضًا إجراء الحوار مع الأشخاص الموجودين معه في الفراغ . conversational space وعندما يتحرك المشاهد على مسافات أكبر بينه وبين مكونات الفراغ (بمعنى تباعد محددات الحيز الفراغي على مسافات أكبر) فإنه يفقد بعض قدرته على التمييز لشكل الفراغ ، ومتغيرات عناصره وتعبيراتها الظاهرية وتفاصيلها المختلفة. وهكذا كلما ازداد الفراغ اتساعًا تصبح إمكانات التعرف على التفاصيل داخل الفراغ كالألوان مثلاً ممكنة . ولكن هنا تكون بدايات فقدان القدرة على تحديد النوايا والسلوكيات أو التفاصيل الدقيقة للأفراد الآخرين الموجودين داخل الفراغ. أما في الفراغات العامة والكبيرة كملاعب الكرة مثلاً التي تصل المسافة فيها بين الشخص وبين ما يتحرك داخل الفراغ إلى مسافات كبيرة ، فإنه يمكن فقط التعرف على

الحركات الواضحة دون تحديد للتفاصيل . (شكل ٧-١)

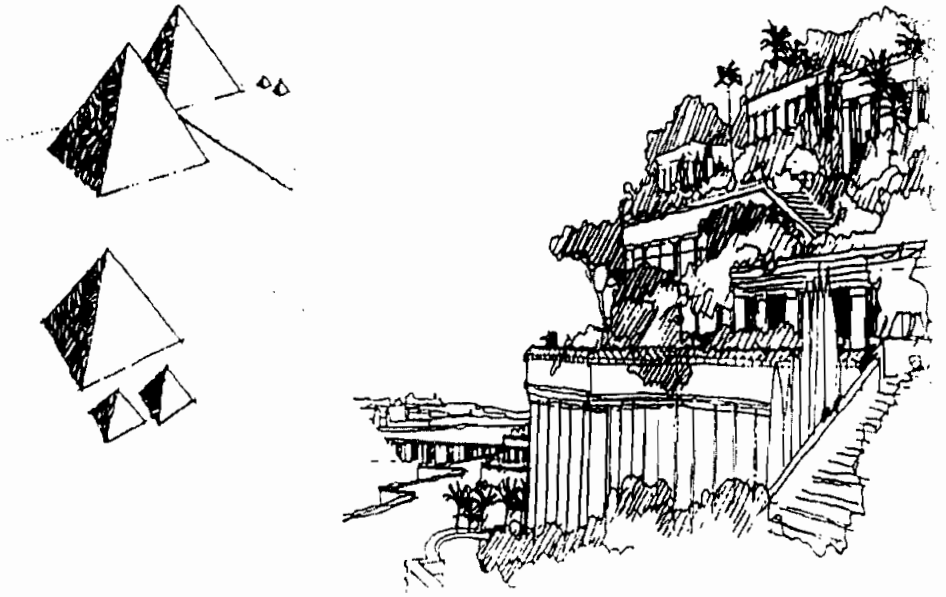

(شكل ٧ - ١) تأثير المسافة على الإدراك

▫ أما عن الرؤية vision فغالبًا ما تكون انعكاسًا مباشرًا لطبيعة الإنسان وقدرته العضوية على استعمال العين. ويعد موضوع التعرف على كيفية عمل العين (أو الإبصار) وانتقال الصورة من العالم الخارجي إلى الشبكية وانتقالها المباشر إلى مراكز الإبصار في المخ - وما يحدث من خداعات في الصورة المرئية - من الأمور الهامة لكل من المصمم المعماري والعمراني والمعنيين بتشكيل البيئة الخارجية والتعامل معها. بقصد تلافي أي حالات للتشويش المرئي التي يمكن أن تحدثها الطبيعة التكوينية للعين. فبشكل عام ينحصر مجال رؤية الإنسان الطبيعي في الشكل المخروطي الذي ينحصر ضمن زاوية رؤية مقدارها ٦٠ درجة ، يوفر هذا المجال الطبيعي إمكانية لرصد الأشكال ذات الانحناءات بشكل أكثر راحة عن الأشكال الحادة [٤] (شكل ٧-٢) . وهو الأمر الذي يساعد على توفير وسائل أكثر حرية لتشكيل الفراغ والتحكم في نوعيته. وهنا يمكن القول إن المعماري البيئي مسؤول عن دراسة زوايا الرؤية المرغوبة عند الإنسان وتحقيقها

في البيئة العمرانية المحيطة سواءً في الحدود المبنية كتكتل المباني أو الأشجار أو الأسوار أو حتى في العلاقة بين الكتل والفراغات. وعادة ما تكون الخطوط الأفقية التي في مستوى النظر أكثر ملاءمة لقدرة العين على إدراكها عنها من الخطوط الرأسية التي تتطلب من الإنسان جهدًا في تحريك رأسه لأعلى . ومن الأمثلة الشهيرة على نقل الإحساس الحقيقي بمجال الرؤية يكون عند المرور بالسيارة عبر أعمدة الكباري العلوية والتي عندها يبدأ السائقون في خفض سرعتهم تدريجيًا عندما يكونون بعيدين نسبيًا عن المكان، وذلك لتلافي قصور قدرة العين على تحديد المسافة الفعلية بين الدعامات أسفل الكباري.

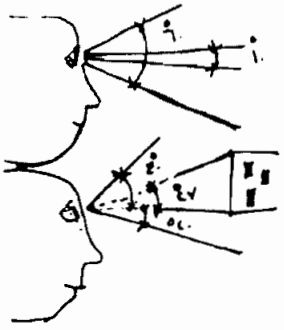

(شكل ٧-٢) زوايا الرؤية الأفقية والرأسية للإنسان العادي

□ تعد الحركة movement داخل الفراغ العمراني من العوامل المؤثرة على اختلاف إمكانات الرؤية في الفراغ وسهولة إدراكه فالمشاهد الذي يتحرك على الأقدام ببطء يحتاج لفراغ يختلف في تكوينه وطبيعته عن الفراغ المخصص للحركة السريعة. ومن هنا يأتي الاختلاف المطلوب لعناصر تشكيل الفراغات المخصصة لأداء وظائف مختلفة. فعلى سبيل المثال، تختلف نوعيات الأشجار المستعملة حول طريق مرور آلي سريع (أوتوستراد) أو التي لها اتصال مباشر بمسارات الحركة على الأقدام ، أو ذات العلاقة بالفراغات المطلة على نهر، والحركة فيه بطيئة وسريعة معًا [١٦]،[١٧] (شكل ٧-٣) .

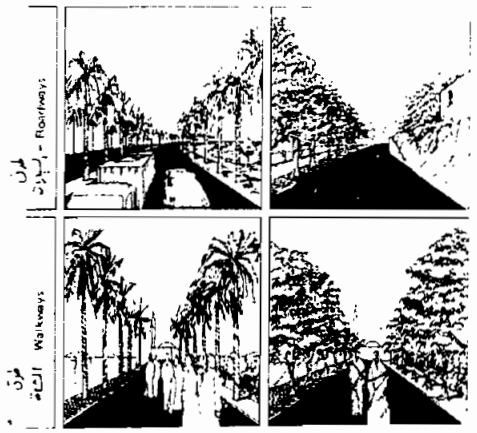

(شكل ٧-٣) أشكال الحركة على طرق المشاة والسيارات

٢/ ٢ المحددات العمرانية لقدرة الإنسان على إدراك الفراغ

لعله من المفيد هنا بيان بعض المحددات العمرانية urban constraints المؤثرة على إدراك الفراغ sense of place وعرضها بقصد الاستعانة بها كأدوات تصميمية وتقييمية . وتعتمد هذه

المحددات على معطيات الفراغ نفسه من جهة والمحيط الحيوي Context من جهة أخرى . ويمكن حصر هذه القوى في[١٨] :

الشكل والتشكيل Shape / formation

التوجيه Orientation

الاحتواء Contained

التدرج Spatial hierarchy

المداخل والمخارج/ الممرات والمماشي/ المعابر/ المصاطب / الحدائق/ القوى الطبيعية

Gateway / paths / crossing / platform / gardens / natural forces

يستهدف العرض التالي إلقاء بعض الضوء على ملامح هذه المحددات وبيان تأثيراتها على تغير الإحساس المرئي بالفراغ كتمهيد لإدراكه، ومن ثم تطوير إمكانات تعديله أو تصويبه ليتلاءم مع متطلبات الإحساس الإنساني بالفراغات حوله أو التي يعيش خلالها وعلى ضوء احتياجاته الجسدية والنفسية والاجتماعية:

□ فأحياناً قد يختلف الشكل الذي يكون عليه الفراغ فهو إما طولي أو دائري أو مربع أو ذو شكل عشوائي غير محدد. وأحياناً تتداخل الأشكال فيحدث خلط بين الاستعمال الدائري والطولي/ الخطي . وبوجه عام يؤثر شكل الفراغ على قدرة الإنسان على الإحساس به بصرياً. وكلما كان الفراغ يميل إلى الخطوط الهندسية المريحة والمستمدة من تجربة المشاهدة للإنسان والتي اعتاد عليها من خلال الترجمة العقلية لها كلما كان إدراك الفراغ أسهل وأسرع (شكل ٨) .

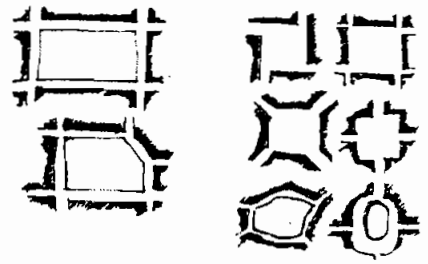

تتباين أشكال الفراغات العمرانية في المدينة العربية التقليدية والمعاصرة . فهي أحياناً فراغات عمرانية مربعة أو طولية، وأحياناً أخرى هي فراغات ذات أشكال مختلفة . هذا الشكل الفراغي يمليه جوانب الفراغ ذاته أو المسارات الموصلة للفراغ من جهة ثانية .

(شكل ٨) شكل الفراغ

أما على مستوى **التشكيل الفراغي** للنسيج الحضري العمراني بشكل عام فإنه يمكن الإحساس بالدلالات المرئية للفراغات من خلال تتبع علاقاتها البنيوية ببعضها، ويكون السبيل لرصد ذلك خلال الشبكة المكونة من الطرق ومسارات الحركة المتصلة بها والتي تعمل كسلسلة chain من الوصلات الفراغية مع ملاحظة استقلالية كل فراغ من ناحية تبعيته لنمط الوظيفة التي تمارس خلاله. وعلى هذا النحو يمكن رؤية النسيج العمراني (وإدراكه بصريًا بالاستعانة بهذه المحددات المادية على أنه سلسلة متصلة من العقد chain of nodes حيث تمثل الفراغات العمرانية هذه السلسلة . كما يمكن رؤيته (أي النسيج) من ناحية أخرى على أنه سلسلة متصلة من قنوات الحركة والاتصال .chain of paths/ spaces (شكل ٩) .

تتباين أشكال أنماط الأنسجة العمرانية المحددة للعلاقة بين الكتل والفراغات، فهي أحيانًا شبكية منتظمة ، وأحيانًا أخرى ذات تكوين عضوي .

(شكل ٩) التشكيل الفراغي للنسيج الحضري

□ بينما يحقق **توجيه الفراغ (نحو الداخل/ أو الخارج)** بعض جوانب إدراكه في ضوء مفاهيم كل من: الاحتواء/ المحتوي . the container / the contained وتكون هذه المفاهيم أكثر وضوحاً في المناطق السكنية في المدينة التقليدية فكل المباني موجهة نحو فراغ موجب للداخل inward looking space بينما في المدينة المعاصرة يكون التوجيه حول فراغ سالب للخارج . outward looking space ، ففي الحالة الأولى يكون الفراغ هو المحتوى contained من خلال المباني حوله، والعكس في الحالة الثانية يكون الفراغ هو المحتوي container للمباني (شكل ١٠) .

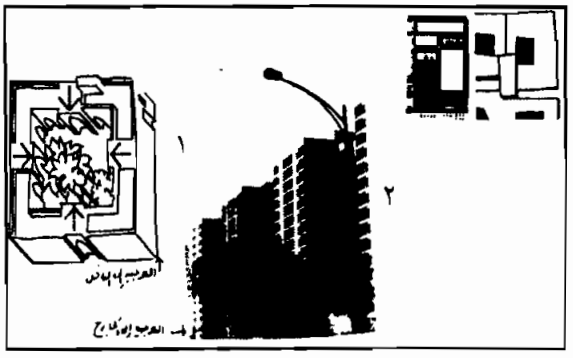

تميز توجيه الفراغ السكني في المدينة العربية التقليدية بتوجيهه نحو الداخل على أحواش . بينما جاء التوجيه في المدينة المعاصرة إلى الخارج ليفقد المدينة خصوصيتها .. دونما ضرورة لذلك .

١- في المدينة القديمة : التوجيه نحو الداخل .

٢- في المدينة المعاصرة : التوجيه نحو الخارج .

(شكل ١٠) التوجيه

□ بصفة عامة يختلف الإحساس البصري في الأمور السابقة على ضوء التعامل مع الفراغ من خلال احترام محددات البعد الثالث (الارتفاع) فالفراغ المفتوح إلى السماء مباشرة هو أقل الفراغات من ناحية الاحتواء، وتتدرج درجات الاحتواء بعد ذلك من حيث الشدة. فعلى سبيل المثال، في مسارات الحركة كممر مغطى (وهو الأمر الذي يوفره البروز بالأدوار العليا عن السفلية أو باستخدام مواد مصنعة من إنشاءات خفيفة)، ومنه إلى الممرات ذات البواكي arcade ومنها إلى الرواق المعمد clonnade وفيه يشعر الإنسان بالحماية الكاملة (شكل ١١-١) .

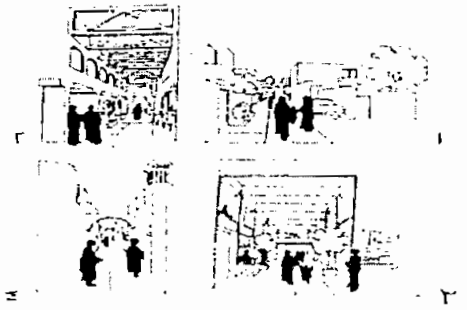

يمكن رؤية الاحتواء على مسارات الحركة المخصصة للمشاة في تدرج واضح : (١) في الفراغات المفتوحة والتي ليس لها أي غطاء من أي نوع يكون الاحتواء مفقوداً أو غير متواجد. (٢) ولكن يمكن الإحساس بالاحتواء الجزئي في الممرات ذات البواكي والمغطاة جزئيًا . (٣) بينما يبدأ الاحتواء في الظهور بشكل واضح في الممرات المغطاة والرواق المعمد .

١- الفراغ المفتوح إلى السماء ٢- الممرات ذات البواكي
٣- الممرات المغطاة ٤- الرواق المعمد

(شكل ١١-١) الاحتواء

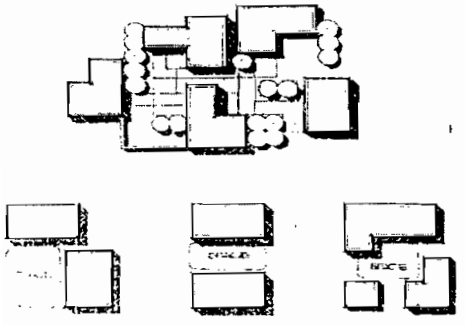

هناك عدة أنواع من الاحتواء : إذ يتكون الاحتواء الكامل من إحاطة الفراغ في كل الجوانب بالمباني أو بالمباني وعناصر التنسيق الطبيعي كالأشجار . أما الاحتواء في نقطة فهو عبارة عن إحاطة الفراغ من أحد جانبيه فقط بالمباني مع ترك الجوانب الأخرى مفتوحة . ويبدأ الفقدان الجزئي للاحتواء عندما تحيط المباني بركن الفراغ وتترك جوانبه الأخرى مفتوحة .

(شكل ١١- ٢) أنواع الاحتواء

(شكل ١١ - ٣) الاحتواء العمراني لنهر النيل بعد بناء المباني العالية المشهد من النيل في القاهرة، مصر.

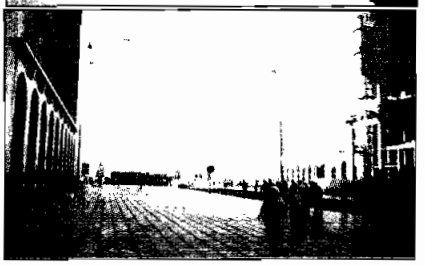

(شكل ١١ - ٤) الاحتواء في الساحات والفراغات العمرانية الكبيرة بالمدينة المنورة بالقرب من الحرم النبوي الشريف. ويظهر في الصورة احتواء الفراغات بالمباني العالية من حولها.

أما عن **الإحساس بالاحتواء في الفراغات العمرانية** فإنه يختلف وفقاً لتغير ملامح الفراغ نفسه وأيضًا بتغير عناصره العمرانية المستمدة من الطبيعة أو التي من صنع الإنسان. فأحيانًا هناك احتواء كامل (فراغ مغلق من جميع الجهات) أو الاحتواء عند نقط محددة (عند الدخول من مسار حركة إلى فراغ له شكل محدد، والاحتواء في هذه الحالة يمكن الإحساس به فقط عند أطراف الفراغ). أما بداية فقدان الاحتواء الجزئي فتكون كنتيجة لتعدد المسارات الموصلة إلى ذلك الفراغ. أما فقدان الاحتواء بالكامل فنتاج لتعدد مسارات الدخول بجانب فقدان الشكل الهندسي للفراغ تمامًا. (شكل ١١-٢)

كما يمكن رؤية الاحتواء على مسارات الحركة المخصصة للمشاة في تدرج واضح في الفراغات المفتوحة والتي ليس لها أي غطاء من أي نوع يكون الاحتواء مفقوداً أو غير متواجد، ولكن يمكن الإحساس بالاحتواء الجزئي في الممرات ذات البواكي والمغطاة جزئيًا، بينما يبدأ الاحتواء في الظهور بشكل واضح في الممرات المغطاة والرواق المعمد. أما على مستوى المدينة فيختلف الإحساس بمفهوم الاحتواء في الفراغات العمرانية المستقلة. ولعل أشهر هذه الأمثلة تجدها عند نهر النيل في القاهرة (قبل وبعد) بناء

الأبراج العالية على جانبيه (شكل ١١-٣) . كما يعد الحرم المكي الشريف مثالاً هامًا للتأثير السلبي لمجموع المنشآت العالية والضخمة التي أصبحت تحيط به (شكل ١١-٤).

□ يشكل **التدرج في الفراغات العمرانية** إحساسًا- مرئيًا وفكريًا - مختلفًا بالنسيج العمراني. هذا الإحساس تابع لتغير كل من المقياس والتشكيل ووظيفة الفراغ . فيختلف الإحساس بالفراغ السكني المخصص للوحدة السكنية المفردة عن الإحساس بالفراغ المخصص لحرم مسارات الحركة للمشاة في المنطقة السكنية محدودة الحجم والمقياس عنه في الفراغ المخصص لنفس الوظيفة ولكنه يقع في قلب المدينة (شكل ١٢-١) . وفي

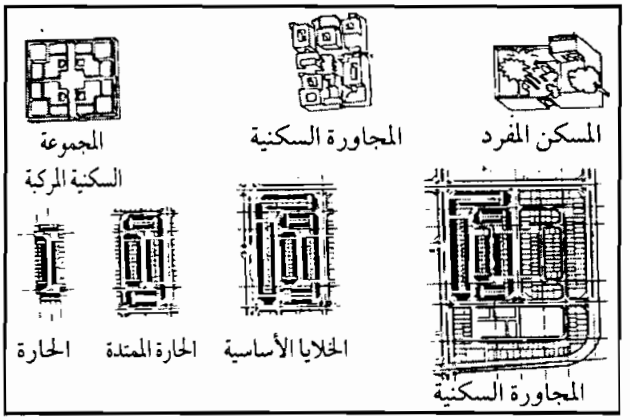

أ- مثال عام للتدرج العمراني التدرج من الوحدة السكنية (أو المبنى السكني النمطي) إلى المدينة. الوحدات النمطية تكون بتكراريات تنويعاتها المجموعة السكنية المركبة، والمجموعة المركبة تكون بتكراريات المجاورة السكنية .

ب- التدرج في مدينة شطا الجديدة في مصر

(شكل ١٢-١) التدرج في العمران العمراني

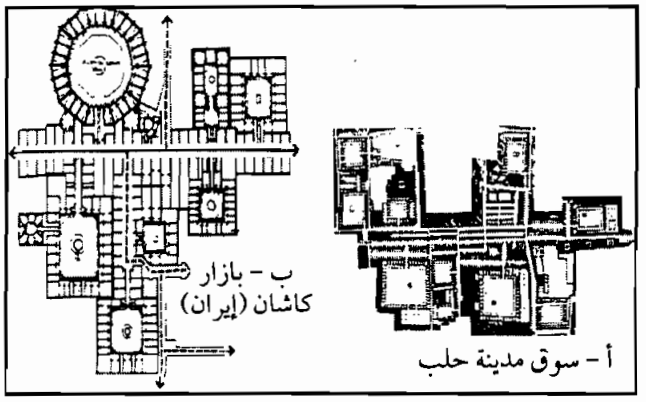

يمكن تتبع ثاني أشكال التدرج في الأسواق التجارية القديمة ، ففي سوق مدينة حلب يمكن تتبع التدرج من القصبة الرئيسية إلى الفراغات العمرانية متنوعة الاستعمال ، والمتتابعة في ارتقاء واضح . أما في بازار كاشان بإيران فيمكن رؤية التدرج خلال تتابع الحركة في الأفنية كأحد خصائص التخطيط العمراني للمدينة .

(شكل ١٢ - ٢) التدرج في الفراغات

كل ذلك يختلف أيضًا الإحساس المتولد عن تتابُع حركة انتقال الفرد من فراغ إلى فراغ آخر. مع الأخذ في الاعتبار أن هذا التدرج الفراغي من حيث الحجم والمقياس يشعر الفرد باختلاف طبيعة الفراغ وأهميته ويشكل نظامًا order حاكمًا لشكل النسيج وبعث إمكانات التفاعل معه (شكل ١٢ - ٢) .

▫ تشترك **عناصر الحركة والاتصال** (التي تتشكل من المداخل والمخارج/ البوابات والمعابر / ومسارات الحركة: المماشي والأرصفة) في تغيير الإحساس بالفراغات خلال ثلاثة مفاهيم هي الإحساس بالحركة والوصول sense of arrival والتخصيص territoriality والمقياس الإنساني human scale (للفراغ المغطى أو المكشوف). فيختلف الإحساس بالفراغ كلما اختلفت اتجاهات الحركة، وإمكانات الوصول إلى الفراغ من الوسط الخارجي إلى الداخل. هذا الاختلاف يؤكده الاستعمال المتغير لعناصر من صنع الإنسان كالبوابات أو باستخدام عناصر طبيعية كالنخيل (شكل ١٣-١) .

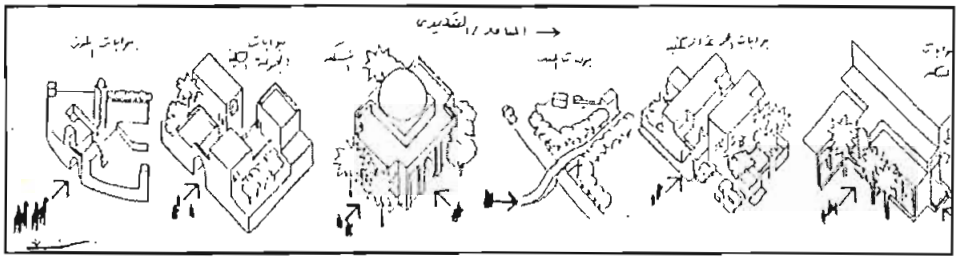

عناصر الحركة هنا هي البوابات أو المعابر . فعلى مستوى المدينة العربية التقليدية والمسكن العربي القديم كان الدخول إلى الفراغ الرئيسي لهما يتم عن طريق البوابات والمداخل كعنصر حركة مهم ومسيطر. أما في الفراغات المغطاة بأكملها في بعض الأحيان يكون الدخول إليها من خلال مجموعة من الفتحات في كل جهة . وقد تكون عناصر الحركة ممتدة من الأسوار الخارجية إلى الداخل عبر البوابة وبين صفوف الأشجار مكونة محددًا قويًا للمسار . وقد يكون الدخول إلى المسار أسفل أجزاء المباني المتصلة في الدور العلوي . وأحيانا أخرى تكون الأشجار هي المحدد القوي لمسارات الحركة .

(شكل١٣-١) عناصر الحركة والاتصال

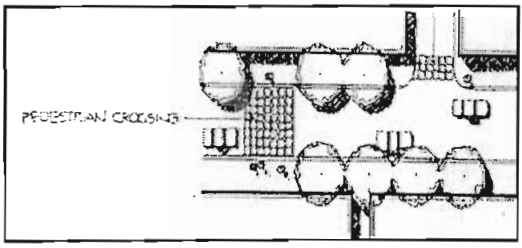

تعد مسارات الحركة للمشاة أحد عناصر الحركة والانتقال المهمة في المناطق السكنية. وهي أحيانًا تعمل كفراغات عمرانية حميمة لصلتها بالمباني حولها، واستطاعة السكان في هذه المباني أن يستعملوها دون التعرض لأخطار أو مضايقات الغرباء والمتطفلين . ومن ثم يجب العناية بها من خلال دراسة التنسيق الطبيعي والصناعي لتكوين فراغ ملائم لمستعمليه .

(شكل ١٣ -٢) عناصر الحركة والاتصال

ومن ناحية أخرى يختلف هذا الإحساس نتيجة للانتقال أسفل هذه البوابات أو المعابر المرتفعة فيشعر الإنسان بالانطلاق والتحول الحقيقي من الخارج إلى الداخل. كما تحدث الحركة بين النور والظلام إحساسًا مختلفًا بالانتقال بين فراغ وفراغ آخر وهذا ما تحققه البوابات والمعابر الضخمة الفاصلة بين فراغين. كما تعد مسارات الحركة للمشاة أحد عناصر الحركة والانتقال المهمة في المناطق السكنية. وهي أحيانًا تعمل كفراغات عمرانية حميمة لصلتها بالمباني من حولها كالأزقة والحارات واستطاعة السكان في هذه المباني أن يستعملوها دون التعرض لأخطار أو مضايقات الغرباء والمتطفلين. ومن ثم يجب العناية بها من خلال دراسة التنسيق الطبيعي والصناعي لتكوين فراغ ملائم لمستعمليه (شكل ١٣-٢) .

□ كما تضيف **العناصر الطبيعية** في ضوء الاستعمال الموفق لها كإضافات عمرانية مادية متجددة - إحساسًا مختلفًا بالفراغ من خلال الاستعانة بها كمعالجات من المياه والنوافير والتشجير، أو باختلاف تداخلها مع تبليطات أرضيات الفراغات .(شكل ١٤-١) فتشكل المياه كعنصر طبيعي ضمن اجتهادات المصمم العمراني أحد المكملات الأساسية لعناصر التنسيق الطبيعي للموقع (شكل ١٤- ٢). كما تستخدم **العناصر** الطبيعية كالأشجار كمعالجات مناخية لتعديل المناخ الداخلي للفراغات. حيث تحقق تكوينات الأشجار معًا أشكالاً مختلفة من الظلال فتحقق هدفًا وظيفيًا ومناخيًا من جهة وتساهم في تغيير الإحساس بالفراغ كنتيجة لحركة الظل والنور من جهة أخرى (شكل ١٤-٣).

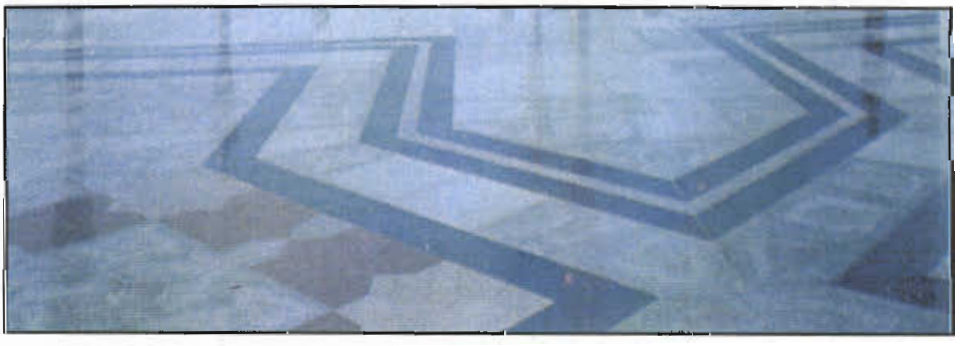

(شكل ١٤-١) اختلاف التبليطات

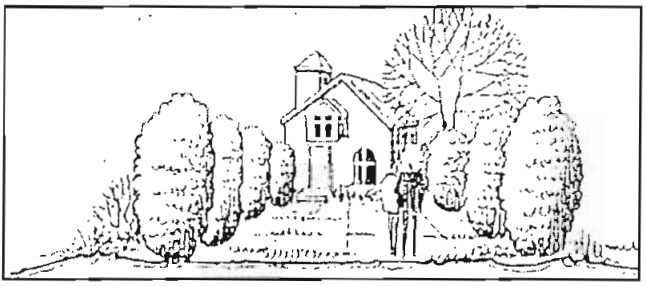

(شكل ١٤-٢) يمكن أن تكون العناصر الطبيعية فراغات عمرانية ولافتة للانتباه . إذ إن الأشجار قد تكون على جانبي المسار محورًا بصريًا موجهًا نحو المبنى .

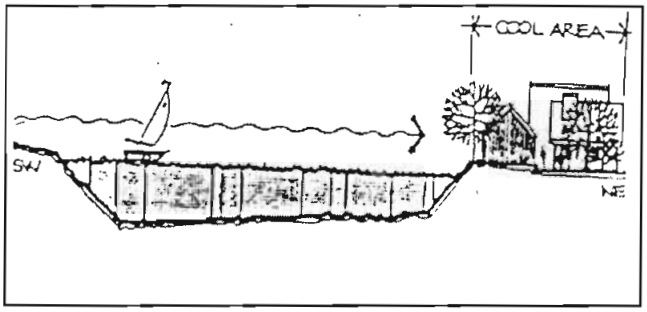

(شكل ١٤-٣) تشكل المياه كعنصر طبيعي ضمن اجتهادات المصمم العمراني أحد المكملات الأساسية لعناصر التنسيق الطبيعي للموقع .

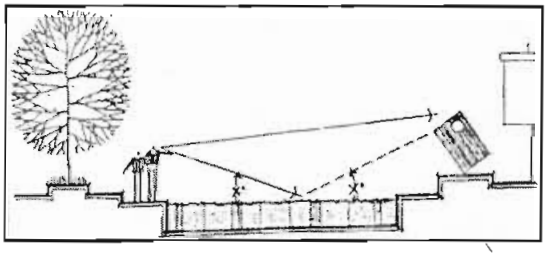

(شكل ١٤) العناصر الطبيعية

٣ - التفاعل بينَ الإنسان والفراغات العمرانية : تجربة المشاهدة

مهد العرض السابق بما تناول من مداخل للتعريف بنوعيات الفراغ العمراني والقوى والعوامل الإنسانية والمحددات المادية المؤثرة على الإحساس بالفراغ وإدراكه إلى توفير الإمكانية للانتقال المباشر نحو عرض مبحث " مراتب الإدراك والانطباع الذهني عن الفراغ العمراني " . يعد هذا المبحث من الأهمية بمكان لتأكيد العلاقة المركبة (الإنسان- المكان) في الفراغ العمراني الواحد في مستوى والفراغات المتعددة والمتتابعة (التي تأخذ في اعتبارها عنصر الحركة- الزمن - كبعد رابع في التصميم) في مستوى آخر. ويركز هذا المبحث على تفاعل الإنسان مع الفراغ على ضوء " تجربة المشاهدة " ارتكازًا على أساسيتين : [١٨]

- خصائص الفراغات العمرانية characteristics of urban open spaces

● المتتابعات الفراغية space articulation sequential movement spatial

٣/ ١ خصائص الفراغات العمرانية

يمكن الإشارة إلى أن إدراك الإنسان للفراغ يكون نتاجًا لفهم الأبعاد الأساسية المكونة له (البعد الأفقي والارتفاع والزمن: والمقصود به زمن الحركة الذي يأخذه الإنسان في الانتقال بين موضع وآخر). وفي حيز التعرف على نوعيات الفراغ وخصائص أدائه أمكن التعرض للأبعاد الثلاثة (الفراغات الحجمية: الأفقية والارتفاع). ويمكن الإشارة إلى تلك الملامح المستمدة من التكوينات والتشكيلات التي تحدثها عناصر الفراغات ذاتها مثل الأسطح (التقعر والتحدب) وعلاقة خط السماء بخط المحدد (المنشآت أو الأرض أو الماء)، طبيعة السطح وعلاقته بحركة الأشخاص والتجهيزات والمرافق والمعالجات الخاصة (النوافير ومسا قط المياه) والتفاصيل (أعمدة الإنارة) وكلها عوامل مادية (من صنع الإنسان) يمكن إدراكها بالمشاهدة.

٣/ ٢ المتتابعات الفراغية

تعد الحركة داخل الحيز الفراغي من أهم العوامل المؤثرة على إمكانية بعث قدرة الإنسان على الإدراك لكل ما حوله بسهولة. ففي واقع الأمر يكون التفاعل بين الإنسان وما حوله أقل ما يمكن في حالة السكون (الركون أو الجمود) وذلك لمحدودية مجال الرؤية ، ويظل التكوين الذي يمكن أن يراه المشاهد وحيدًا وغير متجدد ، وتنعكس الصورة المرئية في هذه الحالة بشكل ثابت. أما التفاعل الحقيقي بين الإنسان والمكان فإنه يكون نتاجًا لتغير تجربة المشاهدة التي تحدث في توازن مع الحركة مكونة الصورة البصرية الجديدة كلما تغير موقف المشاهد وحالته أو تعددت مجالات الرؤية.

ويشير لنش Lynch إلى أن التأثير على الصورة البصرية الذي يحدث نتيجة للمشاهدة يتكون نتيجة لعاملين هما: المسافة والزمن . (شكل ١٥) والمقصود بالصورة هنا أنها : "إعادة ترجمة الإحساس البصري بالإضافة إلى عامل الزمن".

Image + distance = time

كما تعني الصورة البصرية بتلخيص كل الإدراكات التي تمت عن طريق الحواس (البصر)، وتحولت إلى انطباعات في الذهن وأمكن فهمها كصورة ذات دلالات ومعان.

(شكل ١٥) عوامل التأثير على الصورة البصرية

أما **الواقع المرئي** فيمكن تعريفه بأنه الحيز الفراغي المكاني موضوع المشاهدة (الرؤية). وتختلف المواقع العمرانية والطبيعية المرئية وفقًا لاختلاف السمات المميزة لها، ولكن تظل هناك عناصر محددة لفهم وإدراك كل موقع يطلق عليها عناصر تكوين الانطباع البصري visual image التي تأخذ من عوامل تحديد نوعية الفراغ إطارًا لها وتلك يمكن حصرها في الحدود أو الحواف edges، والمسارات paths، خلال مجموعة من النقاط pointsمثل العلامات المميزة land marks والأنوية nodes، والمسطحات areas مثل الأحياء districts .[١٨] (شكل ١٦)

المشهد من جزيرة المرجان بالمنطقة الشرقية ، السعودية .

(١) أماكن الجلوس واللقاءات كأنوية وعقد .

(٢) البرج كعلامة مميزة . وتجدر الإشارة إلى التأثير المباشر لاستعمال الألوان على الإحساس بأن هذا المكان خصص لممارسة النشاطات الترفيهية .

(شكل ١٦) بعض عناصر تكوين الانطباعات البصرية

بالإضافة إلى كل ذلك فإنه يمكن حصر عناصر **تنظيم الإدراك المرئي** image regulation للفراغات المحيطة في التعرض exposure، والتمايز/ الهوية/identity differentiation، والمعاني meanings، والإنشاء . construction[١٧] وفي كل الأحوال تختلف الصورة المرئية باختلاف تجربة المشاهدة التي تتغير وتختلف نتيجة لتغير الحالة المزاجية للشخص (النفسية والعصبية) والفسيولوجية . وأيضًا للتغير في المكان والزمن ، وفي ضوء خبراته وتجاربه الشخصية المكتسبة من ناحية ومتطلباته الإنسانية من الناحية الثانية. وكلما كانت الحركة داخل الفراغ سهلة كلما كانت الصورة المرئية واضحة ويمكن تذكرها . وهذا ما يطلق عليه تكوين الانطباعات البصرية imageability سواء كانت بسيطة أو معقدة .

(١)

(٢)

(١) أماكن انتظار السيارات كأماكن للتجمع - الأنوية والعقد. (٢) الأسوار كحدود
(شكل - ١٧) التجربة البصرية : تجربة المشاهدة كأداة لقراءة المناطق المفتوحة خلال مكوناتها والإحساس بها والتفاعل معها. المشهد من كورنيش الخبر ، الواجهة البحرية ، بالمملكة العربية السعودية.

٣ / ٣ تجربة المشاهدة

أما **المتتابعات الحركية** كمفهوم في هذا العمل فيقصد بها أنها عملية الانتقال خلال مسار محدد داخل البنية العمرانية المكانية سيراً على الأقدام، أو بأي وسيلة حركة تمكن من المشاهدة ويكون الانتقال بداية من نقطة محددة وحتى نهاية الموضوع مجال الرؤية المقصود مشاهدته. وتأتي المتتابعة في متوالية تشترك فيها مجموعة من العوامل المؤثرة على ردود فعل الإنسان نتيجة لحركته في الفراغ . ويمكن إدراك المتابعة الحركية في الفراغ خلال مجموعة من المستويات تبدأ بالمستوى الأفقي ثم رؤية الحيز المكاني بإدخال عامل الارتفاع وأخيراً بإدخال عامل الزمن الذي يمثل منطق الحركة. وجدير بالذكر أن هناك علاقة تدرج وتتابع من الإدراك perception إلى الانطباع البصري visual image فيدرك

الإنسان بداية بعد انتقال الصورة من العالم الخارجي إلى مراكز في المخ ومنها إلى مناطق الفهم والاستيعاب، ثم يتحدد الانطباع الذهني ويصاغ بعد ذلك وفقًا لنوع الشخص وطبيعته وإمكاناته من ناحية والزمن الذي يقضيه داخل الفراغ من ناحية ثانية.[١٢] ويمكن ذكر بعض المداخل التي يمكن بها صياغة الاستفادة من تجربة المشاهدة في [١٣]:

● أن الإنسان لديه الرغبة الدائمة في التعرف على المحيط الحيوي من حوله خلال مجموعة من الدلالات التي تحقق له بالتبعية جوانب الإحساس النفسي والوظيفي للفراغ.

● أن الإنسان هو الذي يضفي المعاني على المكان. أما الموجودات فهي تمثل فقط الأدوات التي يستعين بها لتأكيد هذه المعاني وتدعيم وجودها. كل هذه الأمور المقصود بها المحاولات التي يقوم بها الإنسان بقصد تجهيز المكان حوله ليتلاءم مع كل من أهدافه وممارساته الحياتية.

● أن ملكية الإنسان للمكان ، أو مجرد إحساسه بالامتلاك لجزء منه ، يجعله قادراً على تعميق الإحساس المميز للفراغ الذي يتلاءم مع توجهاته. وهذا واضح في المنشآت والمباني التي تقع أمام الساحات العمرانية المكملة لها وكيفية التعامل معها للاستفادة بها.

● أن إدراك الإنسان للفراغ وانطباعاته المنعكسة نتيجة لتجربة المشاهدة من الصعوبة تواجدها إلا إذا توافرت الشرائط البنائية المحددة للفراغ (كالأشجار) بقصد تحويله إلى فراغ محدد الملامح يمكن الإحساس به عند المرور خلاله أو بجانبه.

● أن التجربة الناتجة عن المشاهدة لأول مرة للمكان تمكن المشاهد فقط من تحديد بعض الملامح العامة والمفردات الأساسية . وبتكرار تجربة المشاهدة يتكون عند المشاهد ما يعرف بخبرة المشاهدة الناتجة عن استمرار التلقي والإحساس والإدراك والتفاعل والمعايشة. ومن المعروف أن الملامح العامة التي تكسب المشاهد خبرة المشاهدة تكمن خلف تواجد العناصر العمرانية المتكررة والفريدة بالموقع مثل تكراريات الوقفات

والأشجار وتغير المستويات وخصوصية المكان وغموضه والمكملات المهمة كالمياه. أما عن تنوع تجربة المشاهدة فإنها بالتبعية تكون من خلال الاستعانة بعناصر البيئة مع التركيز على الإحساس بالاستمرارية من خلال البدايات والإطارات والتفاصيل والتراكب والاستقلالية.

بتحليل بعض المحاولات التي قدمت بعض الأمثلة لاستخدام تجربة المشاهدة وتأكيد نتائجها على ضوء الاكتشافات المرئية الناتجة عن المتتالية والمتابعة الحركية في الفراغ أمكن الوصول إلى أنه يمكن إطلاق مفهوم التجربة البصرية ودلالاتها كأداة تساعد على قراءة الفراغات العمرانية والإحساس بها والتفاعل معها.[١٨] أشكال (١٧ - ١٩)

إذ إن هذه القراءة تحقق مردوداً نفسيًا يصاحب المشاهد كنتيجة للتناقضات المفاجئة التي يشعر بها (هذا المشاهد المتحرك) الأمر الذي يساعد على تحقيق الحيوية للمكان التي من المفترض أن على المصمم/ المخطط تحقيقها دومًا من خلال الاستعانة بالمتتابعات الفراغية التي تنشأ كنتيجة لجهدهما في التعامل مع العمران.

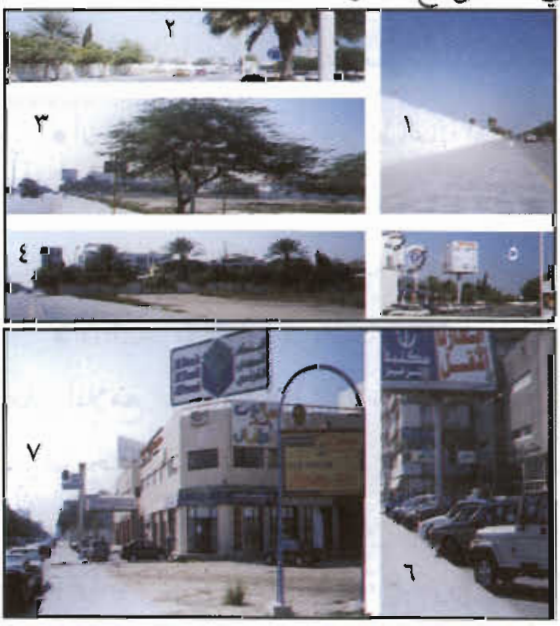

يمكن تكوين تجربة مشاهدة حقيقية خلال الانطباعات البصرية المتعددة واستنادًا إلى العناصر البصرية على النحو الأتي :

(١) و(٢) الأسوار كحدود - قصر سمو أمير المنطقة الشرقية.

(٣) و(٤) الطرق الرئيسية للمرور الآلي كمسارات.

(٥) و(٧) لافتات الإعلانات كعلامات مميزة على الطريق السريع .

(٦) أماكن انتظار السيارات كأنوية وعقد .

(٨) و(٩) مشهد عام يضم العلامات المميزة (لافتات الإعلانات والمباني الضخمة)، ومناطق التجمعات (أماكن انتظار السيارات) .

يمكن اعتبار المشهدين كمسطحات أو مساحات يدلان على منطقة سكنية .
المشهد من كورنيش الخبر - المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية .

(شكل ١٨) تجربة المشاهد

توضح اللقطات التالية بعض الملامح العامة للصورة البصرية التي يمكن أن تكون كمردود عمراني لتغير التشكيل بما قد لا يتلاءم مع المتطلبات الإنسانية في المملكة العربية السعودية : (١) منظر كامل للجزيرة .
(٢) البرج كعلامة مميزة تطل على المناطق الخضراء.
(٣) كافيتريا جزيرة المرجان كنقطة تجمع .
(٤) الحدود التي تفصل مسارات المشاة عن الساحل.
(٥) مناطق التجمع المعبرة عن الفصل الكامل بين العائلات، بما يتناسب مع التوجهات القيمية من ناحيتي الخصوصية والتوازن بين الخصوصية والعمومية . وتظهر فيها مسارات الحركة للمشاة (أعلى) ، والمسطحات الخضراء (أسفل).

(شكل ١٩) مشاهدات قيمية للفراغات العمرانية لأكبر مناطق التجمع الحالية على كورنيش الدمام - المملكة العربية السعودية - جزيرة المرجان

٤ - الفراغات العمرانية في المدينة العربية

(القديمة / المعاصرة) : مشاهدات قيمية

تفيد المراجعة المدققة لبعض الأدبيات حول عمران المدينة العربية- في جوانب التركيز على الفراغات العمرانية كمكونات أساسية- في الوقوف على بعض السمات والملامح المميزة لها باعتبارها مكونًا لثنائية عناصر النسيج العمراني: مواضع النشاطات ومسارات الحركة والانتقال. وتخرج الطرق(المعدة للمرور الآلي) ومسارات الحركة للمشاة- باعتبارها فراغات عمرانية ذات وظيفة أساسية تعني بالانتقال والحركة المباشرة- من التوصيف الحالي لهذه الدراسة. ويصبح الحيز المكاني المشار إليه كفراغ عمراني هنا هو ذلك الفراغ الذي يسمح بممارسة الأحداث المتعلقة بنشاطات حيوية لا يمكن ممارستها إلا في البيئات الخارجية المفتوحة (على المشاع) أو نصف المفتوحة، وهي تتعدد بين نشاطات ترفيهية أو ذات مضمون تذكاري أو توفر حيزًا رحبًا لإقامة العلاقات الإنسانية بين الأفراد المقيمين في هذا الحيز أو المترددين عليه. وتصبح كل هذه الحيزات المكانية أنوية للتكوين العام للمدن أو المناطق السكنية أو حتى على مستوى عمارة المبنى السكني المفرد .

يمكن الاستفادة من السمات والملامح المميزة للفراغات العمرانية (المستخلصة من المراجعة النظرية من منظور قيمي) لتكون ضوابط موجهة للمشاهدات الميدانية للفراغات العمرانية في المدينة الإسلامية المعاصرة. إذن يتدرج العرض هنا بداية من التحليل النظري إلى المشاهدات العامة [١][٢][٣][٤][٥][١٤] :

١ - كان يطلق على الميادين الرحبات، وكانت متعددة الوظائف وتمارس خلالها مجموعة متنوعة من النشاطات وفقًا لتغير الاحتياج والمناسبات في المواسم أو في اليوم الواحد. وهي، كما يبينها (ابن يوسف) فراغات ذات طابع جماعي واجتماعي، ففيها تتم اللقاءات الثقافية والتبادل الإعلامي وتوفر المجال الملائم لكل الممارسات الجماعية- وهي تختلف عن الساحات العمومية المعروفة في المدينة الإغريقية كمكان للتسلية

واللهو وهو أمر غير مرغوب في الإسلام (إلا في حدود ما يبيحه الشرع) - كما استعملت هذه الميادين لإقامة الأسواق الدائمة والمؤقتة بها وإقامة الشعائر الدينية فكانت مصلى للعيد واستعملت لاستعراضات الجند، وإلقاء الشعر (في ابتداء العصر الأموي).[١١]

٢ - **الساحات العمرانية التقليدية** : عبارة عن (رحبات) أو ميادين اختلف شكلها وفقًا لمضمون استعمالاتها عن الساحات في المدن غير العربية كالفرس والرومان والإغريق ولكن كان التركيز بشكل أساسي على توفير أماكن للأسواق وكمصلى للعيد (في البدايات المبكرة من الإسلام) . واستمرت فترات طويلة على هذا النحو إلى أن أضيف لها استعمالات أخرى كالأمسيات أو اللقاءات الشعرية والاستعراضات العسكرية.[٤]

٣ - يعد **مفهوم الحرمة** ذا دلالة في إدراك الفراغ العمراني في المدينة العربية على أنه فراغ محدد ومحتوى موجه إلى احترام الارتباط الموضوعي بين عناصر المدينة ومكوناتها، فارتبطت المدينة الإسلامية بروابط وعقد على شكل منافذ ومداخل حاجبة توجد عند الربط بين مداخل المساكن، وفي علاقتها مع الدروب والمسالك الموصلة للشارع العمومي، كما ربطت داخل المدينة وخارجها منافذ حاجبة والأبواب ذات الزوايا المنحنية لحجب الداخل عن أنظار من في الخارج. كما يساعد هذا المفهوم على إدراك روح الفراغ من الناحية الرمزية التي ترتبط بفلسفتها كمكان للعبادة . كما يساعد ذلك على إدراك مهمتها الوظيفية الضابطة لنوعية الممارسات الاجتماعية. ويعكس النتاج مفهوم هذه القيمة من الناحية الجمالية من خلال الأنساق الأقل مثل الحدود والستائر والروابط والعقد وكلها نابعة من روح مفهوم الفراغ العاكس لمعنى الحرمة.

٤ - يلعب **مفهوم الملكية المجاورة والمنفعة المشتركة** دورًا في صياغة الفراغات العمرانية المعروفة "بالأزقة" . ويشير إليها الهذلول بأنها "شكل من أشكال الفراغات المفتوحة شبه الخاصة وذات المنفعة المشتركة بين السكان. وينظر إليها على أنها جزء من

الملكيات المجاورة، وأن أصحاب تلك الملكيات أولى باستخدامها والاستفادة منها. وتختلف الأزقة هذه بين مفتوحة على طريق عام أو دروب غير نافذة، والنشاطات المسموح بها تدخل ضمن اختصاص السكان أصحاب الملكيات المتصلة بها وأن القانون لن يتدخل إلا إذا طلب السكان ذلك بشكل صريح". كما يؤكد الهذلول على "الاستعمال المتكرر لنظام البوابات التي كانت تختار عند مداخل هذه الأزقة التي ينظر إليها على أنها فراغات ذات ملكية شبة خاصة"[٤] (الهذلول، ص ص:٨١-٨٢).

٥- استخدمت **الأزقة في المدينة** المنورة منذ نشأتها لممارسة النشاطات الاجتماعية المحلية والاحتفالات الشعبية والنشاطات التجارية. واختفت بعض العناصر التخطيطية المميزة كمكونات للنسيج العمراني للمدينة المعاصرة. وهو الأمر الذي حد بشكل كبير من هذه النشاطات بين أفراد الجماعة الواحدة وفي المنطقة السكنية بشكل لافت للنظر.[١٤]

٦ - اختفاء ما يمكن أن يطلق عليه التوجيه الكامل نحو الداخل باستخدام الأفنية والأحواش الداخلية. وظهرت بدلاً منها الفراغات الخاصة داخل الأسوار العالية على مستوى المسكن المفرد، بينما نفذت المساكن المجمعة والعمائر السكنية دون الاستفادة بأي فراغ داخلي خاص. ولعل الضرورة تدعو بحق كل المصممين للبيئة الخارجية إلى الاجتهاد في الوصول إلى شكل أكثر ملاءمة للمستعمل العربي المسلم.

٧- لم تعالج **الفراغات العمرانية بما يتلاءم مع معيار الخصوصية وقيمة الحرمة والعلاقة بين الجنسين** حيث لم يتغير بشكل موضوعي التعامل مع المناطق المفتوحة عامة والفراغات العمرانية خاصة في بعض المدن العربية المعاصرة مثل السعودية ومصر والتي ما تزال تحتفظ بالكثير من التقاليد والقيم الإسلامية. وعلى وجه الخصوص، في جانب العلاقة بين الجنسين والخصوصية الأسرية والفردية. لكن لم يؤخذ هذا التأثير القيمي في الاعتبار عند التعامل مع النتاجات البنائية المعاصرة. فتجد الفراغات العمرانية التي تتشابه أو تكاد مع تلك الموجودة في النمط الغربي الداعي للاختلاط. وهو الأمر الذي

أدى إلى إحجام كثير من المواطنين في تلك البيئات الاجتماعية العمرانية عن استعمال هذه الفراغات إلا بالشكل والأسلوب الذي يتلاءم معهم من ناحية تخصيص أماكن للعائلات وإعداد الأماكن العامة بما يوفر الحماية من المتطفلين والغرباء. كما أمكن الاستفادة من تأثر عامل المسافة على إدراك المشاهد لكل ما يراه فاختار البعض منهم الأماكن البعيدة نسبيًا عن المترددين.

٨- تعاني المدن العربية - بحكم الموقع والموضع- من **التأثيرات البيئية المناخية** شديدة التأثير وخاصة على الأوساط الخارجية والمفتوحة صيفًا أو شتاءً. حيث المناخ الحار وشديد الحرارة مع رطوبة مرتفعة في أشهر الصيف والأمطار في أشهر الربيع والشتاء. وفي الأعم الأغلب من هذه الشهور يصعب التواجد في الأماكن المفتوحة دون الاستعانة بالمعالجات المعمارية والعمرانية التي تمكن من التغلب على الإجهاد الحراري الزائد، وتحقيق الراحة الحرارية للإنسان. ويمكن للمقيم العادي لملامح المعالجات في الفراغات العمرانية في هذه البيئات اكتشاف أوجه التناقض بين الظروف المناخية والتصميم العمراني ، ومنها: عدم تغطية الأماكن المفتوحة لحمايتها بالظلال، وكبر حجم الفراغات العمرانية العامة ، وعدم ملاءمة نسب العمق إلى العرض والارتفاع لزوايا سقوط الإشعاع الشمسي خاصة في شهور الصيف.

٩- استقطعت حيزات متعددة من **المناطق المفتوحة خاصة على الواجهات الساحلية (المطلة على البحر)** وخصصت كمناطق ترفيهية أو ملاعب أو نواد للنقابات المهنية والشركات أو لمجموعات من الأفراد (ملكية شديدة الخصوصية). وهو الأمر الذي حد من الوجود الطبيعي المتميز لها سواء من ناحية المناظر واتجاهات الرؤية أو من ناحية الملكية والتعدي **على** مفهوم الملكية والمنفعة المشتركة (**على** المشاع).

١٠- تباين **الاستعمال غير الموفق لمفهوم الساحات العمرانية** محدودة الحجم والمقياس أمام النشاطات شبه الخاصة والعامة. ففي مصر لم تعد هذه الأماكن موجودة أو كادت تنعدم كنتيجة لارتفاع أسعار الأراضي والرغبة في الاستفادة من كل جزء من

الأرض المملوكة في البناء. أما في السعودية وبعض الدول العربية الأخرى فقد استعين بهذه المساحات الفضاء لتوفير مناطق خارجية ذات طابع جمالي. ولكنها غير مستخدمة بكفاءة نتيجة لتعارض التصميم- في الأغلب- مع مفاهيم الخصوصية والحرمة وحق الطريق من جهة لعدم ملاءمتها للعامل المناخي ومؤثراته غير المرغوبة من جهة أخرى.

١١- تتميز **المنتزهات** في بعض المدن العربية الإسلامية المعاصرة بالاستعمال الموفق لكل العناصر التي يتدخل في صنعها الإنسان بما يتوافق مع أسس عمارة البيئة وجماليات العمران مثل الغطاء النباتي ومعالجات الأسطح والتشطيبات وأماكن الجلوس والإضاءة والأسوار النباتية وأماكن لعب الأطفال الآمنة ومساقط المياه والنافورات. مع تعارض بعض تكوينات فراغاتها مع المبادئ العربية كالحرمة والخصوصية.

١٢- كما يمكن رصد مجموعة من **القيم الإنسانية بعد ترجمتها عمرانياً ومعمارياً في النتاج البنائي كأنساق قيمية** ورصدها في المدينة العربية على النحو الأتي :

١٢/ ١ يشكل **العامل الاقتصادي** في الوقت الراهن أهمية بالغة في التأثير على حياة المجتمعات الإنسانية من حيث الرقي أو الانحدار. وتلعب القيم الإنسانية في هذا العمل دوراً في إحداث التوازن المركب بين تحقيق متطلبات العائد المادي من جهة والحفاظ على الهيكل الاجتماعي- الثقافي الملتزم في المدينة العربية لكل ما تحمله من توجه عقائدي لازم وواحد مهما تعددت الآراء والمبررات نحو الاتجاه للمعاصرة من جهة أخرى. هذا التوازن يمكن تحقيقه من خلال اعتبار المناطق المفتوحة "كمورد للتمويل" وكحق لكل إنسان ومحدداتها القيم الإنسانية الواجب تحقيقها في المجتمع العربي، وأنه يمكن تحقيق هذا العائد من خلال الإضافة المتميزة لمجموع النشاطات التي تخدم أهداف المستعملين من كل الأعمار والمستويات. هذه النشاطات يمكن أن يكون لها العائد الاستثماري الخاص بها. فعلى سبيل المثال، هناك أماكن لعب الأطفال بما يوفره لهم من العاب مختلفة ، ومكملات الرياضة للشباب ، والمناطق المخصصة للوجبات السريعة، ومستلزمات القراءة والتسلية لكبار السن. ومن جهة أخرى يمكن الاستفادة بتقنيات

العصر المستحدثة في تزويد الفراغات العمرانية بالمتاحف المفتوحة سواء تلك التي تتضمن النباتات النادرة أو العائلات الحيوانية التي تتميز بها البيئات المختلفة وكذلك الطيور النادرة والمحلية وكلها يمكن أن تحقق الجانب المادي المرغوب وأيضًا الجانب الثقافي التعليمي القيم.

١٢/ ٢ يمثل **الجانب الثقافي- الاجتماعي** مدخلاً حاسمًا في صياغة ملامح المجتمعات العربية وتشكيل أسلوب الحياة هناك بما يتضمنه من أسس الارتباط بالتوجه العقائدي/ الديني ومستلزمات انعكاسات تعاليم هذا التوجيه على كل ما له ارتباط بحياة الإنسان على الأرض. ومن ثم فإن هذه التعاليم فرضت مجموعة من القيم الإنسانية التي كان على البنّاء العربي المهتم بتخطيط المدينة وأماكن السكن والمعيشة فيها مراعاتها بشكل ملزم ، ومنها الخصوصية ومكانة المرأة وتوفير الحماية الكاملة لها (بتأكيد مفاهيم الفصل بين الجنسين ، وتخصيص أماكن محمية للنساء ، والتوازن بين متطلبات الترفيه وقضاء أوقات الفراغ وأسس متطلبات تحقيق هذه الحماية من خلال صياغة عمرانية تفيد في توجيه هذا التوازن والحفاظ عليه) ، والاهتمام بتربية النشء والشباب على أهمية قضاء أوقات الفراغ في النافع والمفيد وممارسة النشاطات الرياضية بكل أشكالها المركبة والبسيطة في الأماكن المفتوحة ، وتحقيق الجانب الجمالي والبيئي بعيدًا عن التلوث بكل أشكاله الصوتي والمرئي والغازي ، ومراعاة توفير البيئة الأوفق لكبار السن وتوفير احتياجاتهم الاجتماعية والبدنية بما يتلاءم مع متطلباتهم، سعادة الأطفال وتوفير الحماية الكاملة لهم من أخطار الطريق والعوائق الأخرى مع توفير أماكن ملائمة للمسؤولين عن متابعاتهم. وتتدرج تحتها العديد من معايير الفاعلية القيمية الأهم :

- الاهتمام بالمكان، التوافق والتلاؤم.
- تحقيق المقياس الإنساني في القطاعات الحجمية للفراغ كل بما يتناسب مع طبيعته.
- العناية بالفراغات العمرانية باعتبارها أماكن لنقل الحركة بين مواضع النشاطات المتعددة.
- توظيف أماكن الدخول والخروج بما يتلاءم مع طبيعة الفراغ والحيز العمراني

والطبيعي المحيط.

١٢/ ٣ تتباين النشاطات التي يمكن أن تمارس داخل الفراغات العمرانية كما تتباين أوقات استعمالاتها على مدار الفترات المناخية اليومية والموسمية، وهو الأمر الذي يتطلب أن تكون هناك بعض المعالجات الطبيعية والتصميمة التي من صنع الإنسان تمكن من مواجهة هذه الظروف للحد من الضار منها والاستفادة بما هو ملائم على وجه الخصوص، في المناطق الحارة وشديدة الحرارة. ومن هذه المعالجات: الاستعمال الأوفق للنباتات الصحراوية التي توفر غطاءً طبيعيًا يحمي من الإشعاع الشمسي ويؤكد على توفير الظلال، وكذلك مجموعة النباتات التي تحمي من حركة الرمال وحركة الهواء غير المحبب كرياح الهبوب، والاستفادة من مفاهيم التشكيل المتضام/ المدمج الذي يمكن تحقيقه من خلال العلاقة بين الكتل والحيز المكاني الفراغي الملائم. أما عن القيمة التي يمكن تحقيقها من تلبية هذا الاعتبار فهي تأتي في الأصل تحت متطلبات الراحة بكل ما تتضمنه من احتياج مادي ومعنوي للإنسان. وبالتبعية تتحقق شرائط الهدوء النفسي التي تبنى عليها حسن الخلق وإماطة الأذى والتعاون والألفة والرغبة في المعاونة.

١٢/ ٤ تستمد القيم التشريعية والتنظيمية قوتها من مدى ملاءمة أساسياتها للمتطلبات الإنسانية السائدة في المكان. وهي تشكل الجانب القانوني الحاكم لمنع أو الحد من التعارض بين ما هو قيمي مرغوب وكل المخالفات غير المرغوبة. فهناك التشريعات المنظمة لارتفاع المباني في المناطق السكنية، وأشكال الردود، ومواضع الفتحات في الواجهات المطلة على الفراغات العمرانية شديدة الخصوصية. كما تفيد التشريعات في صياغة أسس تصميمة وتخطيطية تعمل كمعايير في بداية الإعداد وأيضًا عند التقييم. وثمة العديد من الأمثلة الخاصة بالتشريعات وتلبي متطلبات القيم الإنسانية. منها، على سبيل المثال: (١) حق الارتفاق والملكية المجاورة والمنفعة المشتركة وما تشكله كل منها من أهمية بالغة في تشكيل الفراغات العمرانية وما حولها. (٢) حق الانتفاع بالفراغات

على المشاع ومنها فراغات الساحل أو المطلة على الكورنيش، تلك التي من المفترض توفيرها كمجال للاستمتاع لكل الناس، ويظهر التشريع للحد من تخصيص الملكيات التي تحرم الأفراد من الاستمتاع بهذه المناطق كغيرهم. (٣) الارتفاع بالبنيان بشكل يحد من الإضاءة والتهوية لفراغات محددة . (٤) إمكانية إعداد الفراغات بشكل مرن يستوعب العديد من النشاطات وهو الأمر الذي يوفر قيمة المنفعة العامة والمتجددة.

٥- النتائج والتوصيات

تشكل الحيزات الفراغية الخارجية ممثلة في المناطق المفتوحة والفراغات العمرانية الجانب المادي للبناء العمراني لكل الممارسات الاجتماعية بين الناس على مستوى المدينة وتلعب هذه الحيزات في المدينة العربية دورًا هامًا في التعبير عن السلوك المجتمعي المتأثر بكل القيم الإنسانية المستمدة من التعاليم الدينية. وهو الأمر الذي يجعل منها حيزات فراغية تمكن من رفع الوعي القيمي أو تدهوره . ويبدو ذلك في انعكاساته على العمران المعاصر. ويمكن للمصمم الواعي ولديه الخبرة والدراية بالعمل في المجتمعات العربية أن يعبر تعبيرًا صادقًا عن كل الملامح القيمية في النتاج البنائي العمراني العربي.

ومن ثم توصي هذه الورقة بإعادة النظر في جوانب مسألة التعامل مع المناطق المفتوحة بما يتلاءم مع المتطلبات الإنسانية القيمية من جهة ويتوافق مع متطلبات العصر من جهة أخرى. كما تقدم بعض الخطوط الإرشادية التي يمكن اعتبارها كأسس إرشادية للحفاظ على والارتقاء بالفراغات العمرانية في المدينة العربية:

١- استهدف هذا العمل بشكل أساسي الإشارة إلى خصوصية دور القيم الإنسانية كموجه لتطوير المناطق المفتوحة والفراغات العمرانية بما يتناسب مع متطلبات البيئة العربية المعاصرة. مع التأكيد على أن كل ما ينفذ بالفعل الآن يحمل بدرجات مختلفة ملامح النجاح أو الإخفاق في التعبير عن التوازن بين المتطلبات القيمية العربية والتقنيات المعاصرة.

٢- تلعب القيم الإنسانية الحاكمة للممارسات الإنسانية الحياتية في الوسط

الخارجي دوراً في التمهيد نحو إعادة صياغة الفراغات العمرانية الخارجية بما يتلاءم مع متطلبات المستعمل العربي المسلم. كما تساعد على تعميق الوعي بمدى أهميتها في الحفاظ على الاتزان البيئي بين البيئتين الطبيعية والمشيدة.

٣- يمثل إحداث هذا التوازن القائم على تأكيد انعكاسات القيم الإنسانية في النتاج البنائي والاستعمال الموفق لمعطيات العصر تحديًا للمخطط/ المصمم في اتجاه تصويب دوره من مجرد النقل والتقليد إلى الاختيار والابتكار والإبداع. على الرغم من صعوبة ذلك لانخفاض الكم التراثي العربي الذي يمكن الاستفادة به في جانب التعامل مع الفراغات العمرانية. إذ إنه من الملاحظ دورها المحدد في تكوين المدينة العربية التقليدية من جهة ، وعدم الفهم والقدرة على استنباط القيم والمبادئ الإسلامية في عمارة البيئة من جهة أخرى.

٤- تساهم علوم عمارة البيئة وتنسيق المواقع والتصميم العمراني بما تحمل من توجهات في صياغة ضوابط عامة في جوانب التعامل مع الموطن البيئي الخارجي. حيث تحمل البيئة الطبيعية رصيداً وافراً من الموارد الطبيعية كالنباتات والجيولوجيا والكائنات الحية والمناظر واتجاهات الرؤية المتعددة التي يمكن الاستفادة منها في تشكيل البيئة الخارجية.

٥- ضرورة التفكير في أن أهمية الموطن البيئي الخارجي تعادل نفس المكانة التي يتمتع بها الوسط الداخلي (المسكن). وكما نجح المعماري في الماضي في تقديم صياغات معمارية تلبي متطلبات الإنسان العربي فإنه بالضرورة يمكن للمصمم العمراني البيئي تقديم وجهات نظر متعددة لصياغة ملامح الوسط الخارجي. وهو الأمر الذي توفره أسس التصميم العمراني في تناول المفردات البيئية: البوابات، الساحات، البواكي، الحدود والفواصل، التغطيات، التشطيبات والمعالجات السطحية، تغير المستويات، مساقط المياه، الأركان. كما تساعد المبادئ القيمية المادية في تعميق الاستفادة من هذا الحيز الفراغي مثل: التوازن بين الخصوصية والعمومية، تداخل وتنوع الاستعمالات،

التدرجات الهيكلية، العلاقة بين النشاطات وبعضها وعلاقاتها بمعابر الحركة والاتصال ، التشريعات المنظمة للعمران، العوامل المؤثرة على الأداء، المشاهدات والإدراكات المرئية (جماليات البيئة العمرانية) والتحكم البيئي.

٦- التوجه نحو تحديد نطاقات للحفاظ والتنمية على الفراغات العمرانية وفقًا لمنظومة قيمية تتوافق مع طبيعة المستعملين - التركيب السكاني والمكاني- في إطار عام وشامل يتضمن التوازن بين الداخل والخارج ، بقصد إيجاد بناء للبيئة العمرانية المعاصرة ومنها يمكن تحقيق جوانب التفرد والتمايز للبناء العربي لعمارة وعمران المسلمين، مع استعمال أساليب جديدة تتوافق مع متطلبات العصر الحالي.

٧- بعث إمكانات القدرة على التفكير المتكامل والمتنامي عند إعداد الفراغات العمرانية ، حيث لا يعني تناولها خلال بيان تدرجاتها الهيكلية على مقياس كل من المدينة أو المنطقة السكنية أو المسكن دون الفصل عند التصميم بين كل جزء منها والتعامل معه على حدة. هذا التكامل يمكن من إعداد مدن مستقبلية تراعي كل الجوانب الحياتية والممارسات المجتمعية العامة وشديدة الخصوصية. فعلى سبيل المثال، يحتاج الفراغ السكني الخاص جدًا إلى التعامل معه خلال إطار أعم وأشمل من كونه يخدم أسرة واحدة في حيز مكاني منعزل ومفصول عما حوله، بقدر ما يكون الإعداد له بشكل يعتبره كجزء من منظومة فراغية تحكمها آليات العلاقات الفردية والأسرية والعلاقات القريبة والبعيدة ، وكذلك المعاملات الإنسانية التي يمكن ممارستها خلال كل هذه الحيزات المكانية، وهو الأمر الذي يعني توفير محيط عمراني بيئي (اجتماعي / قيمي) يجعل الفرد المستعمل يشعر بأنه لا يحتاج في كل مرة إلى الانتقال من فراغ إلى فراغ آخر بشكل يستوجب منه تعديل سلوكه أو مزاجه الشخصي ومن ثم حالته النفسية. وانعكاس ذلك يكون بتوفير الإحساس بالمكان والانتماء والأمان وحب المكان لكل المقيمين المستعملين المباشرين والزائرين أيضًا . ويصبح نسيج المدينة عبارة عن تكوينات متكررة من الحيزات المكانية الموجبة (عكس الاتجاه السائد عن وجود فراغات سالبة مفتوحة على المشاع) حيث لا يتناسب الانفتاح نحو الخارج بقوة مع تحقيق مجموعة

القيم الإنسانية العربية المرغوبة.

٨-الدعوة الملحة لتوجيه مصممي البيئة العمرانية الخارجية نحو التفكير الموضوعي المعاصر حول تكوين تصور عن كيفية تحويل المناطق المفتوحة والفراغات العمرانية إلى مجموعة من الفراغات الحميمة التي يأمن الإنسان العربي بقيمه على التعامل معها دون جرح لخصوصيته المكانية. كذلك الحد من فكرة هجر هذه المناطق وعدم استعمالها. والأمثلة كثيرة في المناطق الساحلية المفتوحة (على الكورنيش) في بعض المدن العربية والتي تم تقسيمها إلى مناطق وفراغات خاصة أو شبه خاصة دون أي تصميم بيئي مناسب. وهنا يبدو دور المصمم البيئي مهمًا نحو بذل الجهد في إعداد تصميم يتلاءم مع توجه إعداد المدن باعتبارها تكرار متنوع من الفراغات العمرانية ذات الوظائف الحيوية وتعديل أهميتها إلى الدرجة الأولى مثلها في ذلك مثل النشاطات السكنية أو التعليمية أو غير ذلك من النشاطات الأساسية في المدينة العربية.

٩- إذن أحد مداخل التنمية يكمن في جعل دور المصمم البيئي أحد الممارسين في عمليات التصميم الأولية للمخططات السكنية دون اقتصار دوره على التشجير أو التجميل أو الأعمال التكميلية . ولعل تجارب مثل التي كانت لكل من ابنزرهاورد في المدن الحدائقية ولوكوربوزييه في حدائق السطح ورفع المباني على أعمدة للاستفادة من الدور الأرضي بالكامل كمناطق فضاء - تعد خطوات غربية يمكن أن تنطلق منها محاولات عربية تتلاءم مع متطلبات المستعمل العربي.

١٠- أما جوانب الحفاظ على الفراغات العمرانية القائمة بالفعل فإنها تكمن وراء البحث عن القيم الإنسانية المعبرة عن النشاطات والأحداث التي يمكن ممارستها في هذه الفراغات ، ووضع تصور لصياغة هذه القيم لتكون مبادئ قيمية يتمكن المصمم بها من رفع أداء هذه الفراغات ، ومن ثم الحفاظ على كفاءة الأداء.

١١- تؤكد الدراسة الحالية في الختام أنه لا يوجد تعارض على الإطلاق بين ما يردده البعض من أن الحاضر المعاصر لمعطيات العصر يمثل تحديًا للمخطط/ المصمم في

اتجاه تصويب دوره من مجرد النقل والتقليد إلى الاختيار والابتكار والإبداع ، على الرغم من صعوبة ذلك لانخفاض الكم التراثي العربي الذي يمكن الاستفادة به في جانب التعامل مع الفراغات العمرانية، إذ أنه من الملاحظ دورها المحدود في تكوين المدينة العربية التقليدية من جهة، وعدم الفهم والقدرة على استنباط القيم والمبادئ الإسلامية في عمارة البيئة من جهة أخرى.

المراجع

[١] **أكبر ، جميل عبد القادر** ، عمارة الأرض في الإسلام، *دار القبلة للثقافة الإسلامية*، جدة، بيروت، دمشق (١٩٩٢) .

[٢] **أكبر ، جميل عبد القادر** ، آليات الإبداع في العمارة الإسلامية، *ندوة إشكاليات النظرية والتطبيق في العمارة التقليدية*، البحرين (١٩٩٥) .

[٣] **التوني ، سيد محمد ونسمات عبد القادر**، في تخطيط وتصميم المناطق السكنية، القاهرة، مصر (١٩٨٤) .

[٤] **الهذلول ، صالح** ، *المدينة العربية الإسلامية- أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية*، دار السهن، الرياض، المملكة العربية السعودية (١٩٨٤) .

[٥] **النويصر ، عبد الله** ، " *المبادئ الجوهرية في النسيج العمراني- السلوكي الحديث في المستوطنات الصحراوية في المملكة العربية السعودية* " جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، م٣، العمارة والتخطيط ، (ص ص:٥١-١١١) (١٩٩١) .

[٦] **الخريجي ، عبد الله** ، " الضبط الاجتماعي- سلسلة دراسات في المجتمع السعودي " رامتان، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية (١٩٩٢) .

[٧] **التوني ، مصطفى زكي** ، " *المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء المدارس والاتجاهات الحديثة في علم اللغة* " ، *حوليات كلية الآداب*، الحولية الرسالة ٦٤، الكويت، (ص:٢٢) (١٩٨٩) .

[٨] **أبو سعدة ، هشام** ، " القيم كأداة لتنمية المناطق العمرانية " ، *المؤتمر العلمي الأول لإسكان محدودي الدخل في لبنان* " ، كلية الهندسة المعمارية، جامعة بيروت العربية، بيروت ، لبنان (١٧-١٩ أبريل ١٩٩٥).

[٩] **أبو سعدة ، هشام** ، " *نسق القيم في المجال العمراني- شوارع الأسواق: مشاهد من المدينة العربية القديمة والحديثة* " ، *المؤتمر العلمي الأول لإسكان محدودي الدخل في لبنان* " ، *كلية الهندسة المعمارية*، جامعة بيروت العربية، بيروت ، لبنان (١٧-١٩ أبريل ١٩٩٥).

[١٠] **أبو سعدة ، هشام** ، " *القيم الغائبة في عمران المدينة الجديدة- التجربة العربية* " ، *المؤتمر الدولي الرابع، كلية الهندسة، جامعة الأزهر*، القاهرة، مصر (ص ص: ١٢٩-١٤٣) (١٦-١٩ ديسمبر ١٩٩٥).

[١١] **بن يوسف ، إبراهيم** ، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر (١٩٩٢).

[١٢] **ابن خلدون ، عبد الرحمن**، المقدمة ، *كتاب الشعب، دار الشعب*، القاهرة ، مصر، (ص:٨٧)، (ص ص: ٣٩٠-٣٩٥)، (ص:٤٦١) (بدون تاريخ) .

[١٣] **زهران ، محسن** ، محاضرات مادة التنسيق الحضري لطلاب السنة الخامسة، *قسم الهندسة المعمارية*، كلية الهندسة، جامعة الإسكندرية.

[١٤] **مكي، محمد شوقي ابراهيم** ، المدخل إلى تخطيط المدن، الرياض، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية (١٩٨٦) .

[15] Ashihara, Yoshinobu. *Exterior Design in Architecture.* Van Nostrand Reinhold. (1970) .

[16] Berlson, Bernard. *Human Behavior.* New York. Harcourt. Brase and World .

[17] Booth, Norman. *Basic Elements of Landscape: Architectural Design.* Elsevier Pub. USA. (1983).

[18] Laurie, Michael. *An Introduction to Landscape Architecture.* American Elsevier Publishing Co. Inc. Amsterdam. The Netherland. (1975) .

[19] Lynch, Kevin, *The Image of the City,* MIT Press, Harcourt, Brase and World. . (1964) .

[20] Newman, Oscar. *Defensible space, Crime Prevention Through Urban Design.* New York. Macmilan. (1972) .

[21] O'keefe, J.& Nodel. *The Hipo Compus as a Congative Map.* Oxford: Oxford University Press. (1979) .

[22] Preiser, Wolfhang F. E. *Post-Occupancy Evaluation.* Van Nostrand Reinhold. New York. (1988) .

[23] Rob, Krier. *Urban Spaces.* New York. Rizzoli. (1979) .

[24] Sommer, Robert. *Personal Space.* England cliffs. N.J. Prentice- Hall. (1969) .

Human Values Pattern in the Urban Spaces of Islamic Arab Cities

HISHAM GALAL ABUSAADA

College of Architecture and Planning, King Faisal University

ABSTRACT. The paper aims to explain the relationship between the people and the places. It discusses the human perception of urban spaces within the concept of human values, and its effects on the urban structure in the past and present. The paper emphasises the role of urban landscape to improve and upgrade the urban spaces performance in traditional Arab cities, on the one hand, and to determine the principle of development, conservation and preservation for the urban spaces on the other hand. The paper presents several aspects such as:

-Types of urban spaces considering the understanding of activities and its values.

- The factors which influence urban spaces

-The determination of factors that affect the urban perception

- How do the people perceive urban spaces, and

-The main characteristics of urban spaces in Islamic Arab cities

Finally the paper chooses some urban spaces in Egypt and Saudi Arabia as cases for analysis and demonstration.

Key words

The Islamic Arab cities, Urban space, Urban Landscape, Human Values, Human Perception, Conservation & Rehabilitation, Post Occupancy Evaluation.